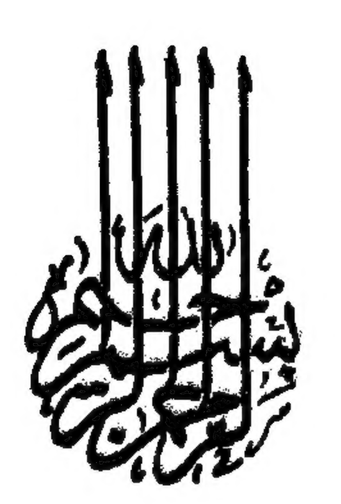
تأديب الناشئين

بأدب الدنيا والدين

لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي
صاحب العقد الفريد

تحقيق وتعليق
محمد ابراهيم سليم



كلمة المحقق

« أدب الدنيا والدين » كان وما يزال جزءاً لا يتجزأ من رسالات رب العالمين إلى الناس أجمعين ، فليس هناك من هو أعلم بنا من ربنا الذى خلق النفس فسواها وألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها .. وقد خاب من دساها .

وقد بعث نبينا محمد ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق! وسوف تظل « مكارم الأخلاق » هدفا يسعى إلى بثها والتحلى بها الهداة والمرشدون ، والآباء جميعا والمربون .

ومهما بلغت البشرية من التقدم والرقى المادى ، فإن النفس البشرية لاصلاح لها إلا بما تركه لنا السابقون من مبادىء وقيم وخبرات وتجارب سلوكية ؛ فباستقامة النفس تصح العبادة ، وباستقامة الدين تتم السعادة !!

وإذا كانت الأصوات قد ارتفعت بالشكوى من المستوى الخلقى الذى تتردى إليه الأجيال جيلا بعد

وعاداتنا وأخلاقنا التى فيها حياتنا وبها وجودنا .. حتى لقد وصل بنا الحال إلى أن فقدنا هويتنا ، وتلاشى فى داخلنا الشعور بالانتماء !! ، وغلبت علينا أخلاقيات وافدة غريبة عن ديننا بعيدة عن روحنا وصرنا كالغرباء !

وإذا كان « ابن عبدربه » صاحب « العقد الفريد » قد ظل « نديما » لأربعة من الملوك فى الأندلس ، وهو « الفقيه » الشاعر الأديب فلا شك فى أنه على رأس من يتحدثون عن « أدب الدنيا والدين » .

ومن أجل هذا عكفت على « عقده الفريد » لأستخرج من بين درره ولآلئه كل ما هو نافع مفيد للآباء والأبناء فى هذا المجال .

وقمت بترتيبه من جديد ، وتبويبه ، ووضع العناوين الملائمة وضبط ما يحتاج إلى ضبط ، وتخريج آياته ، والتعليق على المواقف المختلفة بما يتيح للقارىء متعة أكثر ، وفائدة أكبر !!

ويبدو الكتاب الجديد متألقا بما حوى ، وإذا هو يضم بين دفتيه ما يندر أن يتضمنه كتاب ، وتقلب صفحاته ، فإذا أنت أمام الموضوعات والأبواب الآتية :

١ - فرش الكتاب ، ومقدمة فى فضيلة الأدب وحب الولد .

٢ أدب الله تعالى لنبيه ﷺ .

٣ أدب النبى ﷺ لأمته .

٤ أدب الحكماء والشعراء .

٥ نعم للفضائل .

٦ لا .. للنقائــص .

٧ إلى ولــدى .

٨ مســك الختام ، كتاب : الأدب من مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذرى ولقد أضفت هذا الباب الأخير إتماما للفائدة . وليكون فى صحيفة اعمالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وبهذا نكون قد وضعنا تحت يد كل مسلم كتابا جامعا فى أدب الدنيا والدين .. يصبح نواة لمكتبة إسلامية يلتقى عليها الآباء والأبناء .. يحدوهم الأمل .. ويملأ قلوبهم الرجاء فى حياة أفضل . ومستقبل أجمل وهدفنا أن يرتفع فى أعماقنا بنيان الإنسان الذى تهدم . ويحيا فى داخلنا الإنسان الذى تحطم !!

ويعود لمجتمعنا من جديد ذلك الوجه المسلم بصفائه وإشراقه . وسموه ونبله .:. يعود الرجل

« القرآنى » والشابُ « المحمدى » .. يعود المسلم ليقود الشعب إلى طريق الاستقامة !، يعود من جديد أولئك الفتية الذين قال الله فيهم ﴿ فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ .

وحسبنا الله ونعم الوكيل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،

القاهرة فى ٤ من المحرم ١٤٠٦ هجرية
١٩ من سبتمبر ١٩٨٥ ميلادية

محمد إبراهيم سليم

مصدر الكتاب
ورحلةُ حياةِ مُؤَلِّفه

العقد الفريد :

مجموعة أدبية ضمنها ابن عبدربه ما رآه جديرا بالتدوين من فروع الأدب والحق أن هذا الكتاب يعد من أمهات كتب التراث ؛ فقد حوى خير ما ألف فى موضوعه من الكتب السابقة عليه ، ولم يقتصر على ما عرفه العرب ، بل نقل عن الكتب التى ترجمت إلى العربية فى زمنه عن اليونانية والهندية والفارسية .

منهج ابن عبدربه فى التأليف :

قد أوضح منهجه فى التأليف فى مقدمة الكتاب ، فذكر أنه تخيره من متخير جواهر الأدب ، ومحصول جوامع البيان ، وأنه ليس له إلا تأليف الاختيار ، وحسن الاختصار ، وفرشٌ فى صدر كل كتاب ، وقد جمع بين نظائر الكلام وأشكال المعانى فقرن كل جنس منها إلى جنسه ، وجعل كل جنس بابا على حدة ، وقد عمد إلى أشرفها جوهرا ، وأظهرها رونقا ، وألطفها

معنى ، وأجزلها لفظا وأحسنها ديباجة ، وأكثرها طلاوة وحلاوة ، وأنه رأى الكتب قبله قاصرة فجعل كتابه جامعا لأكثر المعانى التى تجرى على أفواه العامة والخاصة ، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة .

فهو مختار ومُنْشِىء معا ؛ حيث يقدم الباب بمقدمة من إنشائه وقد يتبع الباب بما ينشئه من شعره ، وله آراء جليلة فى النقد الأدبى شائعة فى الكتاب .

تقسيم الكتاب وتبويبه :

لقد تصور المؤلف كتابه « عِقْدا » مؤلفا من خمس وعشرين جوهرة كريمة اثنتى عشرة منها فى جانب ومثلها فى الجانب الآخر ، وواحدة فى الوسط واختار لكل جوهرة من الجواهر الاثنتى عشرة اسما : (لؤلؤة .. فريدة .. زبرجدة .. جُمانة .. مرجانة .. ياقوتة .. جوهرة .. زُمرُّدة .. دُرة .. يتيمة .. عسجدة .. ومُجَنَّبة) .. وتتكرر الأسماء فى الجانب الآخر أما جوهر الوسط فهو « واسطة العقد » .

قيمته الأدبية :

للعقد قيمة أدبية من حيث النقد الأدبى إلى جانب مجموعة كبيرة من الأمثال صُنِّفَتْ حسب موضوعاتها ، وقد اشتمل على عيون الخطب والقصص والنوادر إلى

جانب ألوف من أبيات الشعر لأكثر من مائتى شاعر من العصر الجاهلى والأموى والعباسى ..

إنه مجموعة متخيرة من جواهر الأدب تضم أدب الدنيا والدين ، ولكنه لم يعن بالإسناد وإن كان قد أحسن الاختصار ، وأجاد الاختيار .

ومن هذه المجموعة المختارة أعددنا لك كتابنا هذا .

قيمته التاريخية :

يعد العقد من المصادر التى يرجع إليها الباحثون فى تاريخ العرب السياسى والاجتماعى والأدبى .

وإذا كان العرب قد أطلقوا على قصائدهم الطويلة الخالدة من تراث العصر الجاهلى اسم المعلقات ؛ لأنها جديرة بأن تعلق بالقلوب لجودتها ، أو تشبيها لنا بعقود الدر التى تعلق على صدور الحسناوات فإن ابن عبدربه المغربى الأندلسى القرطبى حينما فتح عينيه على أدب المشرق : شعره ونثره ، راح يجمع أصدافه ، ولآلئه ودرره وجواهره ويصوغها عقدا فريدا تتيه به اللغة العربية ، وستظل على مدى الأيام تفخر بدُرَّاتِه مرددة على سمع الدنيا :

وذُرَّاتُه فرائِدُ عِقْدى !

* * *

طبعات العقد الفريد ومختصراته :

● طبع العقد الفريد عدة مرات فى مصر وكان من أوائل ما نشر من كتب الأدب :

١ – طبع فى مطبعة بولاق للمرة الأولى سنة ١٢٩٢ هـ – ١٨٧٥ م

٢ – وفى المطبعة العثمانية عام ١٣٠٢ هـ – ١٨٨٤ م

٣ – وفى المطبعة الشرقية عام ١٣٠٥ هـ – ١٨٨٧م

٤ – وطبع ثانيا فى المطبعة نفسها عام ١٣١٦ هـ – ١٨٩٨ م .

٥ – وفى المطبعة الأزهرية عام ١٣٢١ هـ – ١٩٠٣ م .

٦ – وفى المطبعة الجمالية عام ١٣٣١ هـ – ١٩١٢ م .

٧ – ونشره مصطفى محمد عام ١٣٥٣ هـ – ١٩٣٤ م .

٨ – ثم طبعته المطبعة التجارية طبعة أخرى ١٣٦٢ – ١٩٤٣ م بتحقيق محمد سعيد العريان .

٩ – وأجود الطبعات كانت عام ١٣٥٩هـ – ١٩٤٠ بتحقيق – أحمد أمين والإبيارى وآخرين .

١٠ – ونشرته دار الكتب العلمية بلبنان ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣ م .

وقد تم اكتشاف عدد من مخطوطات العقد الفريد فى مكتبات المغرب لم تكن معروفة من قبل مما يجعل من المفيد إعادة تحقيق العقد فى ضوء ما تتضمنه هذه المخطوطات من جديد .

المختصرات قديما وحديثا :

وقد اختصر العقد الفريد اثنان من القدامى :

الأول : أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن الوادى أشى القيسى المتوفى عام ٥٧٠ هـ - ١١٧٤ م ، وهو أندلسى من وادى أش ، مدينة جميلة تقع فى مقاطعة غرناطة بأسبانيا الآن .

والثانى : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصارى الخزرجى الشهير بابن منظور صاحب معجم « لسان العرب ، والمتوفى عام ٧١١ هـ - ١٣١١ م

واختصر حديثا مرتين :

الأولى : عندما عمدت لجنة من أساتذة دار العلوم إلى اختصاره استجابة لرغبة وزارة المعارف آنذاك فاختارت بعض كتبه وانتقت من بعض أخبارها ، وسمته « مختار العقد » ونشر عام ١٩١٣ .

والثانية : تمت من عشرين عاما عندما نشرت وزارة الثقافة بعض مختاراته فى سلسلة كانت تشرف على إصدارها .

الكتاب الذى بين يديك :

درة من درات العقد الفريد الخمس والعشرين جمعناه واخترنا له عنوانا ، وقسمناه أبوابا ، وعلقنا عليه ، وضبطنا أبياته وكلماته ، وخرجنا آياته .. فجاء كما ترى لا غنى عنه لكل من يتصدون لتربية الأجيال ، وصناعة الشباب والرجال .

مع المؤلف فى رحلة حياته :

فى قرطبة ولد ابن عبدربه ذات يوم من عام ٢٤٦ هـ - ٨٦٠ م وبها عاش طول حياته ، وفيها توفى عام ٣٢٨ هـ - ٩٤٠ م .

ويذكر المؤرخون فى نسبه أنه : « أبو عمرو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدربه بن حبيب بن حدير بن سالم القرطبى » .

وعن تحصيله يقول ابن خلكان : « كان من العلماء المكثرين من المحفوظات ، والاطلاع على أخبار الناس » .

وقد انتمى إلى بلاط الأمير محمد بن عبدالرحمن «الداخل» شابا فتيا ولازمه طول مدة إمارته (٨٥٢ - ٨٨٦ م) وترك هذا فيه أبلغ الأثر.

وقد لازم ابن عبدربه بعد الأمير محمد « ابنه المنذر » ثم « أخاه عبدالله » من بعده ، و « عبدالرحمن الناصر » أخيرا ، وكان معهم جميعا « شاعر » البلاط و « نديمه » .

ابن عبد ربه كاتبا :

وفى مجال الكتابة نجد مقدمات لأبواب عِقده ، وهى تمتاز بوضوح العبارة ، ودقة الأسلوب ، وازدواج الجملة ، والخلو من الغريب ، والبعد عن التكلف والتعقيد .

ابن عبدربه وشَّاحاً :

وتنسب إليه المصادر الأندلسية أنه كان وشاحا ، ويذهب بعضها إلى أنه مبتدع فن التواشيح .

منزلته الشعرية :

أما شعره فكان موضع إعجاب القدامى

وتقديرهم ، قال عنه . الفتح بن خاقان : « إنه حجة الأدب ، وإن له شعرا انتهى منتهاه ، وتجاوز سِماكَ الإحسان وسُهاه »

وروى ياقوت فى « معجم الأدباء » أن أبا الوليد ابن عسال لقى المتنبي فى مسجد عمرو بن العاص ، وأن المتنبي قال له : «أنشدنى لمليح الأندلس ، يعنى ابن عبدربه فأنشده :

يا لُؤلؤاً يسبى العُقولَ أنيقا
ورَشاً بتقطيع القلوب رفيقا
ما إن رَأيْتُ ولا سمعت بمثله
دُرًّا يعود من الحياء عقيقا
وإذا نظرتَ إلى محاسنِ وجهه
أبصرت وجهَك فى سناه غريقا
يامن تَقَطَّع خصرُه من رِقة
ما بال قلبك لا يكون رقيقا ؟!

فاستعاده المتنبى ، ثم صفق بيديه وقال :

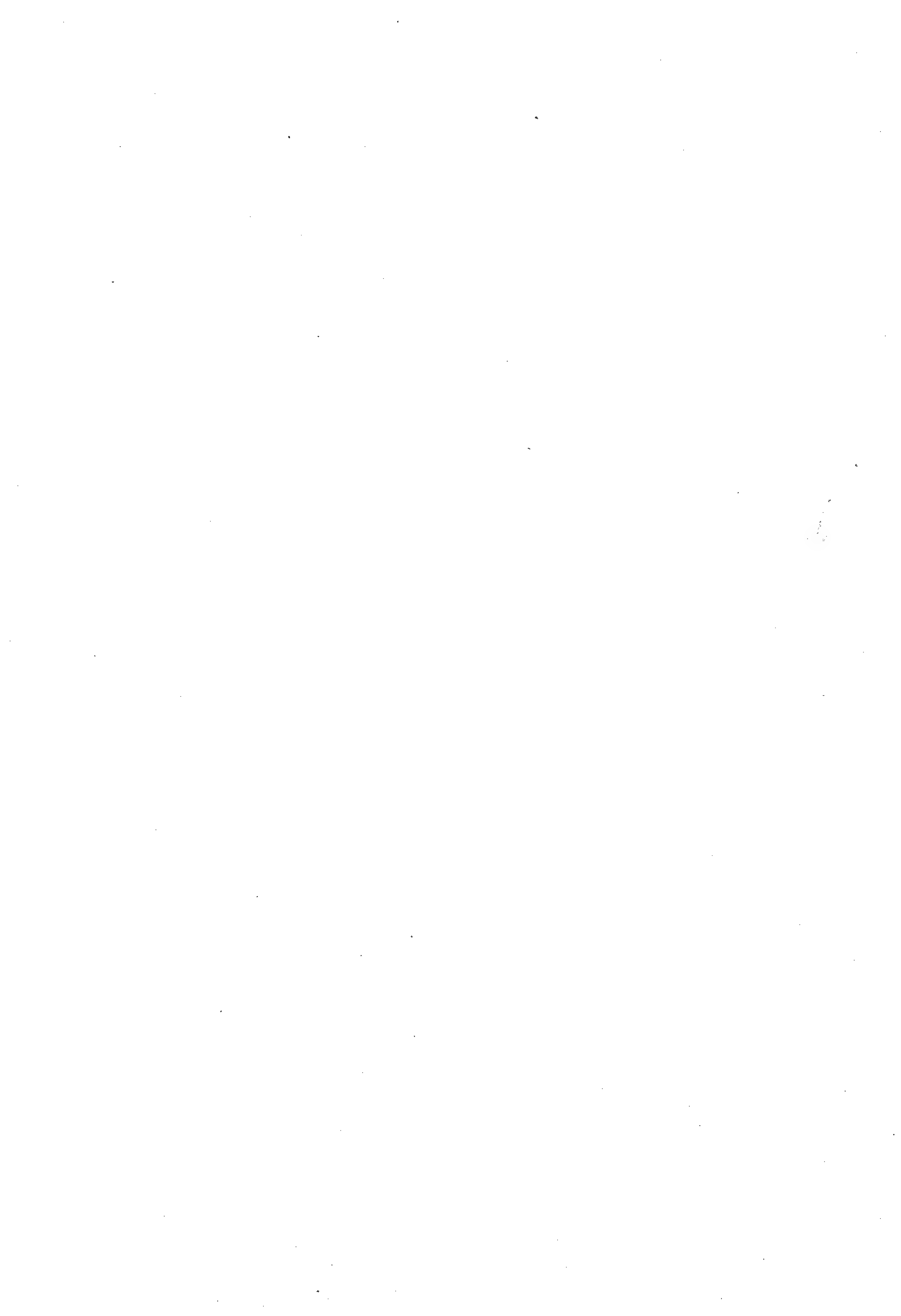
« يا ابن عبدربه لقد يأتيك العراق حَبْواً »

وقد شُهر ابن عبدربه بكتابه « العقد الفريد » وليس له بين أيدينا كتاب آخر .

تأديب الناشئين

بأدب الدنيا والدين

لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي
صاحب العقد الفريد



بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الياقوتة فى العلم والأدب

فـرش الكتـاب

قال أبو عمرو أحمد بن عبدربه :

نحن قائلون بحمد الله وتوفيقه فى « العلم والأدب » فإنهما القُطبان اللذان عليهما مدارُ الدين والدنيا ، وفرقٌ ما بين الإنسان وسائر الحيوان ، وما بين الطبيعة الملكية[١] والطبيعة البهيمية ، وهما مادة العقل وسراج البدن ، ونور القلب ، وعماد الروح .

وقد جعل الله بلطيف قدرته ، وعظيم سلطانه ، بعضَ الأشياء عمداً[٢] لبعض ، ومُتولِّداً من بعض ، فإحالةُ الوهم فيما تُدركه الحواسّ تبعث خواطرَ الذِّكر ، وخواطرُ الذكر تُنبه رَويَّةَ الفكر ، ورويةُ الفكر تثيرُ مكامنَ الإرادة ، والإرادةُ تُحْكم أسبابَ العمل ؛ فكل شيء يقوم فى العقل ، ويمثُل فى الوهم يكون ذِكْراً ، ثم فِكْراً ، ثم إرادةً ، ثم عَملاً .

والعقل مُستقْبِل للعلم ، لا يعمل فى غير ذلك شيئا

والعلم علمان :

علم حُمِلَ ، وعِلْم استُعْمِلَ ، فما حُمِلَ منه ضَرَّ ، وما استُعْمِلَ نفع !

والدليل على أن العقل إنما يعمل فى تقبُّل العلوم – كالبصر فى تقبل

(١) ذات ملكات عاقلة مفكرة .

(٢) أعمدة تعتمد عليها وتقوم بها .

الألوان ، والسمع فى تقبل الأصوات ، أن العاقل إذا لم يُعَلَّم شيئا كان كمن لا عقلَ له ، والطفل الصغير إذا لم تُعَرِّفه أدَباً وتُلَقِّنْه كتاباً كان كأبلهِ البهائم ، وأضلِّ الدواب !! **فإن زعم زاعم فقال :**

إنا نجد عاقلا قليلَ العِلْم ، فهو يستعمل عقله فى قلة علمه ؛ فيكون أشدَّ رأيا ، وأنْبَهَ فِطنةً ، وأحسنَ مواردَ ومصادرَ من الكثير العلم مع قِلّةِ العقل !!

فإن حجتنا عليه ما قد ذكرناه من حَمْلِ العلم واستعماله ؛ فقليل العلم يستعمله العقلُ ، خيرٌ من كثيرٍ يحفظُه القلب ...

قيل للمهلَّب[1] : بم أدركت ما أدركته ؟ **قال** : بالعــلم .

قيل له : فإن غيرك قد علم أكثر مما علمت ، ولم يدرك ما أدركت .

قال : ذاك علم حُمِلَ ، وهذا علم استعمل !

وقد قالت الحكماء : العلم قائد ، والعقل سائق ، والنفس ذَوْدٌ[2] ، فإذا كان قائد بلا سائق هلكت الماشية ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا .

وإذا اجتمعا أنابت طوعا أو كَرْهاً !! . (أنابت : خضعت وأقبلت) .

وأول ما نبدأ به :

- أدب النبى ﷺ .
- ثم أدبه ﷺ لأمته .
- ثم الحكماء والعلماء .

---

(١) **المهلب** بن أبى صفرة : قائد من قواد بنى أمية ، أكثر وقائعه مع الخوارج توفى سنة ٨٣ هـ .
(٢) الذَوْد : ثلاثة من الإبل إلى العشرة . وهى بحاجة إلى قائد وسائق كما النفس مع العلم والعقل .



أدبُ ٱللَّهِ تعَالى لِنبَيِّهِ



باب آداب الله تعالى لنبيه ﷺ

النهى عن التقتير والتبذير والأمر بالتوسط

- **وقد أدَّب الله نبيَّه** بأحسنِ الآدابِ كلِّها **فقال له** :

﴿ ولا تَجعَل يدَكَ مغلولة إلى عُنُقِك ولا تَبْسُطْها كلّ البسطِ فتقْعُد مَلُوماً محسوراً ﴾ [سورة الإسراء : ٢٩]

- **كما قال عزَّ وجلَّ** :

﴿ والذين إذا أَنفقُوا لَم يُسْرِفوا ولَمْ يَقْتُروا وكان بين ذلك قَوَامًا ﴾(١)

[سُورة الفرقان – الآية ٦٧]

مكارم الأخلاق فى ثلاث كلمات :

- **وقد جمعَ الله** تباركَ وتعالى لنبيِّه جوامِعَ الكَلِم(٢) فى كتابه المحْكَم ونظَم له مكارمَ الأخلاق كلَّها فى ثلاثِ كلمات فقال :

﴿ خُذِ العَفْوَ ، وأْمُر بالعُرفِ ، وأَعْرِض عن الجاهلين ﴾

[سورة الأعراف – الآية ١٩٩]

- **ففى أخذه** العفو صلة من قطعه ، والصفحُ عمَّن ظلمه ..

---

(١) **القوام** : بفتح القاف العدل والاعتدال .

(٢) **جوامع الْكَلِم** : كلمات قليلة تعبر عن المعانى الكثيرة ، وقد قالوا : البلاغة الإيجاز .

• وفى **الأمرِ** بالمعروف تقوى الله ، وغَضُّ الطَّرْفِ عن المحارِم ، وصونَ اللسانِ عن الكذب .

• وفى **الإعراض** عن الجاهلينِ تنزيهُ النفس عن مماراةِ[1] السفيه ومنازعةِ اللَّجُوج .

اللَّينُ فى عريكته ، والرِّفْق بأمته :

• ثم **أمَرَه** تبارك وتعالى فيما أدَّبه ، باللين فى عريكته[2] ، والرِّفقِ بأمته **فقال**:

﴿ واخفض جَناحَك لمنِ اتَّبعَك من المؤمنين ﴾

[سورة الشعراء الآية : ٢١٥]

وقال :

﴿ ولو كنتَ فظًّا غليظَ القلبِ لانفضُّوا من حَوْلِك ﴾

[آل عمران : ١٥٩]

وقال تبارك وتعالى :

﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئةُ ادفع بالَّتى هى أحسنُ فإذا الَّذى بينَك وبينَه عداوةٌ كأنَّه ولىٌّ[3] حميمٌ،وما يُلقّاها إلا الذين صبروا ، وما يُلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾

[فُصِّلت : ٣٤]

---

(١) المماراة : المجادلة ، وفى القرآن : ﴿ أفتمارونه على ما يرى ﴾ (النجم : ١٢) .
(٢) **العريكة** : الطبيعة ، وفلان لين العريكة : أى سلس .
(٣) **الولىّ** : ضد العدو ، والحميم القريب الذى تهتم بأمره ، والصديق أيضا .

المثل الكامل ﷺ

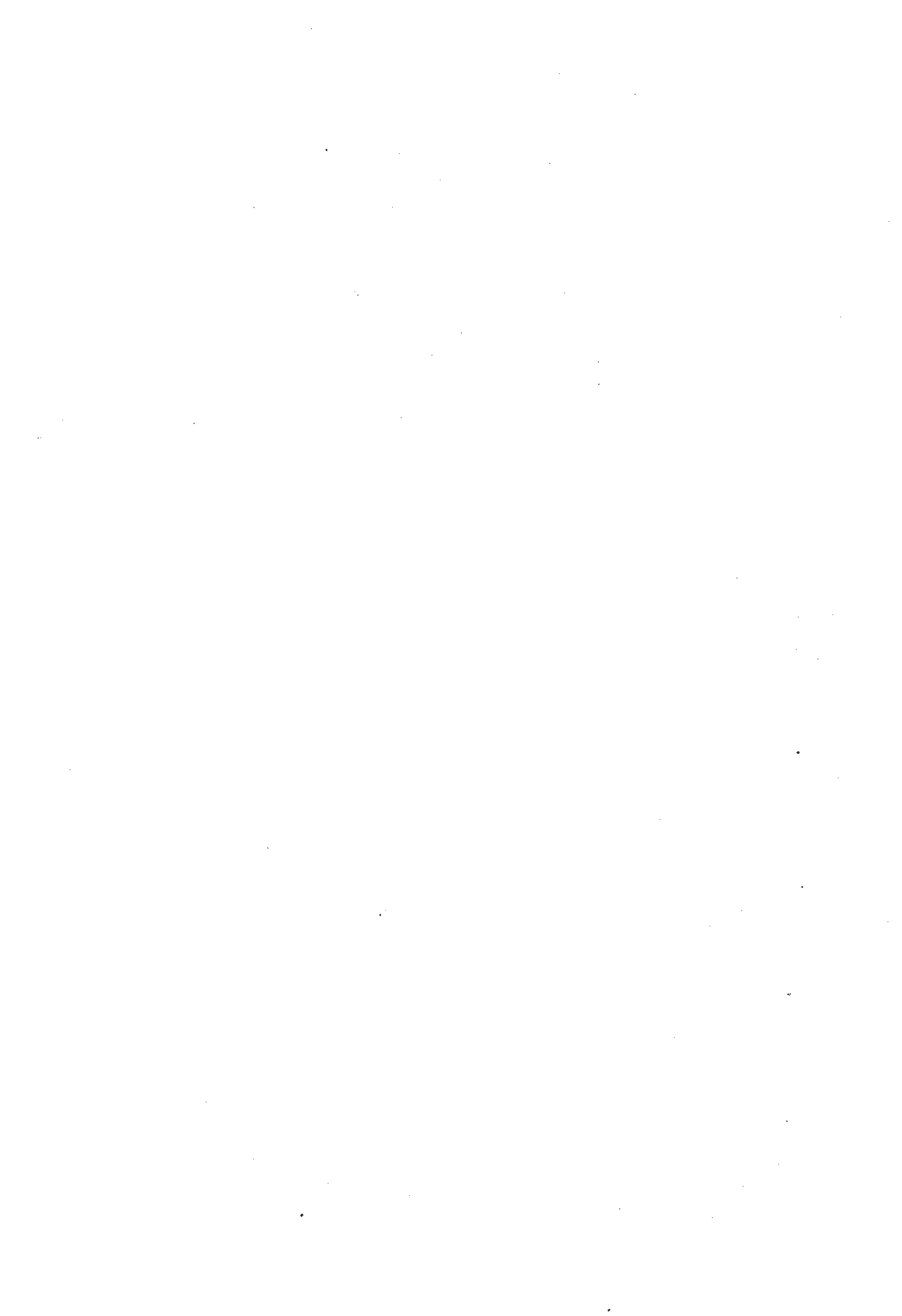
فلما وعى عن الله عزَّ وجلَّ ، وكمُلت فيه هذه الآداب ، قال الله تبارك وتعالى :

﴿ لقد جاءكُم رسولٌ من أَنفُسِكُمْ عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم[1] ، حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ، فإن تولَّوْا فقل حسبى الله ، لا إله إلا هو عليه توكلت وهو ربُّ العرش العظيم ﴾

[التوبة : ١٢٨ - ١٢٩]

* * *

(١) العنتُ : المشقة والضيق .





أدب النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأمته

باب آداب النبى ﷺ لأمته

الحض على مكارم الأخلاق ، وجميل المعاشرة ، وإصلاح ذات البين[1] وصلة الأرحام

قال النبى ﷺ فيما أدَّب به أمَّتَه ، وحضَّها عليه من مكارِم الأخلاق ، وجميلِ المعاشرةِ ، وإصلاحِ ذاتِ البين ، وصلة الأرحام :

« أوصانى ربى بتسْعٍ وأنا أُوصِيكُم بها :

- **أوصانى بالإخلاصِ** فى السِّرِّ والعلانية .
- **والعدل** فى الرِّضا والغضب .
- **والقصد** فى الغنى والفقر .
- وأنْ **أعفُوَ** عمَّن ظلمنى .
- **وأُعْطِى** من حرمنى .
- **وأصل** من قطعنِى .
- وأن يكون **صمتى** فِكْرا .
- **ونُطْقِى** ذكـــرا .
- **ونظـــرى** عبرًا .

(١) **ذات البين** : النسب . القرابة . العداوة . الفساد . ويقال : « سعى فى إصلاح ذات البين » أى إصلاح أخوانهم .

النهى عن ثـــلاث :

وقال ﷺ نهيتكم عــن :

- قيل وقال .
- وإضاعة المال .
- وكثرة السؤال .

حق الطــريق :

وقد قال ﷺ :

- **لا تقعدوا** على ظهور الطرق .
- فإن أبيتم **فغضوا** الأبصار .
- **وأَفْشُــوا** الســلام .
- **واهدوا** الضـــال .
- **وأعينــوا** الضعيف .

إفساد خطـة الشيطان :

وقال ﷺ :

- **أَوْكُـو** السقــاءَ[1] .
- **وأَكفئـوا** الإنــاءَ .

---

(١) **السقاء** : ما يشرب منه ، والوكاء رباطه وغطاؤه .

● وأغلقوا الأبوابَ .

● وأطْفئوا المصباح .

فإن الشيطانَ لا يفتَحُ غَلَقاً[1] ، ولا يَحُلُّ وِكاءً ، ولا يكشِفُ الإناء .

شَــرُّ الناس :

وقال ﷺ :

ألَا أُنَبِّئُكُم بشَرِّ الناسِ ؟

قالوا : بلى يا رسولَ الله .

قــال :

● من أكل وحْدَه .

● ومَنَعَ رفْدَه[2] .

● وجلَدَ عبــدَه .

ثم قــال :

ألا أنبئُكُم بشرٍّ من ذلك ؟

قالوا : بلى يا رسولَ الله !!

قال : مَنْ يُبْغِضُ الناسَ ويُبْغضُونه !!

---

(١) **الغَلَق** : أداة الغلق : المزلاج (الترباس) ، وكل مغلق فهو غَلَق .

(٢) **الرِّفد** : العطاء ، وما يقدم للضيف من خير وبر .

بم نُحَصِّنُ أموالنا ؟ وبم نُداوى مرضانا ؟ وكيف نَستقبل البلاء ؟

وقال :

- حصِّنُوا أموالكُم **بالزكاة** .
- وداوُوا مرضاكُم **بالصدقة** .
- واستقبِلُوا البلاءَ **بالدُّعاء** .

أيهمــا خير ؟

وقال :

ما قَلَّ وكَفَى ، خيرٌ مِمَّا كَثُرَ وأَلْهَى .

الشخصيــة الإسلامية

وقال : المسلمونَ تتكافأ دماؤهم[1] .
ويسعى بذمتهم أدناهم[2] .
وهم يدٌ على من سواهم .

---

(١) **تتساوى** ؛ فالإسلام قد سوى بينهم ، ومحا الفوارق الجنسية والعِرقية .

(٢) **الذمة** : الأمان .. فأى واحد من المسلمين يُعطِى أماناً لغير المسلمين فكلامه نافذ ويمثل المجتمع المسلم .

اليد العليا واليد السُّفلى :

وقال : اليد العُليَا خير من اليدِ السُّفلى .
وابدأ بمن تعول .

تجـارب نبوية :

وقال : لا تجْنِ يمينُكَ على شمالك .
ولا يُلْدغُ المؤمِنُ من جُحْرٍ مرتين .

الحرص على الأخوة :

وقال : المرءُ كثيرٌ بأخيه .

الاستغفار ، والكتمان :

وقال : • افْصلوا بين حديثِكُم بالاستغفار .
• واستعينوا على قضاءِ حوائجكم بالكتمان .

أفضـل الأصحـاب :

وقال : أفضلُ الأصحابِ مَن إذا ذكرتَ أعانك .
وإذا نسيتَ ذكَّرَك .

احترام السلطان المسلم واتباعه :

وقال : لا يُؤَمُّ ذُو سلطانٍ فى سلطانِه .

ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه .

ما ينفع الإنسان من ماله :

وقال ﷺ : يقول ابن آدم : مالى مالى !

- وإنما له من مالِه ما أكَل فأفنى .
- أو لَبِسَ فأبْلَى .
- أو وَهبَ فأمضى .

الحرص على الإمارة ومناصب الدنيا :

وقال : ستحرصون على الإمارة .

- فنِعْمتِ المرضعـة !
- وبِئسـت الفاطمة !

الحرص على العدل بين المتخاصمين :

وقال : لا يحكم الحاكم بين اثنين ، وهو غضبان .

التكاشف والصراحة ومعرفة كل إنسان قدر نفسه:

وقال : • لو تكاشفتم ما تدافنتم .
• وما هلك امرؤ عرف قدر نفسه .

خيار الناس قلة والناس سواء

وقال : • الناس كإبل مائة ، لا تجد فيها راحلة[1] .
• والناسُ كلُّهم كأسنانِ المُشط .

فيم تكون الغنيمة ؟ ومتى يسلم الإنسان ؟

وقال : • رَحِم الله عبداً قال خيراً فغنِم .
• أو سكت فَسـلِمْ .

خير المال وخير الرجال :

وقال : • **خير المال** : سِكَّةٌ مأبورة ، ومُهْرةٌ مأمورة[2] .
• **وخير الرجال** : عين ساهرة لعين نائمة .

---

(١) **الراحلة** : الناقة التى تصلح للارتحال عليها ، وليس كل الإبل يصلح لهذه المهمة ويكفى أنك لا تجد واحدة بين مائة ، وكذا الناس قليل خيارهم .

(٢) **المأبورة** : الملقحة ، **والسكة** : السطر من الشجر ، **والمأمورة** : الكثيرة النتاج والنسل ، أراد خير المال زرع أو نتاج .

خيل الجهـاد

وقال فى إناث الخيل :

بطونها كنْز ، وظهورها حِرْز .

التاجر الصّـدوق :

وقال : • ما أملق[1] تاجر صَدُوق .

• وما أقفر بيت فيه خل[2] .

كتابة العلم :

وقال : قيِّدُوا العِلْم بالكتابة[3] .

الزيارة بين الحين والحين

وقال : زُر غِبًّا تزدَدْ حُبًّا . (غِباً : يوما بعد يوم)

---

(١) **الإملاق** : الفقر ، وفى القرآن ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ﴾ .
(٢) **كان العرب** يأتدمون بالخل ، وما زالت للخل فوائده ، التى أدركها الطب الحديث أخيرا .
(٣) **فى الكتابة** تسجيل للعلم خوف النسيان ، وحذر الزيادة والنقصان وقد جاء فى القرآن ﴿ علّم بالقلم ﴾ .



القسم الثالث

أدب الحكماء والعلماء



الفصل الأول

فى رِقَّـةِ الْأَدَب

- **قال أبو بكر بن أبى شيبة :**

قيل للعباس بن عبد المطلب : أنت أكبرُ أم رسولُ الله ﷺ ؟ .

قال : هو أكبرُ منِّى ، وأنا أسَنُّ منه !

- **وقيل** لأبى وائل أيكما أكبر ؛ أنت أم الربيع بن خيثم ؟

قال : أنا أكبرُ منه سنًّا ، وهو أكبر مِنِّى عقلاً .

- **وقال** أَبَان بن عثمان لطُوَيْسٍ المغنى : أنا أكبرُ أم أنت ؟

قال : جُعِلْتُ فِدَاك !!

لقد شهدتُ زِفافَ أمِّك المباركة !

- **وقيل** لعمرو بن ذر : كيف برُّ ابنك بك ؟ **قال** : ما مشَيْت نهاراً قط إلاّ مشى خلفى ، ولا ليلاً إلا مشى أمامى ، ولا رَقِىَ عِلِّيَّةً وأنا تحته !

- **ومن حديث عائشة قالت :**

ما رأيت رسول الله ﷺ **يُبَجِّلُ أحداً تَبْجِيلَه لعمه العباس .**

- **وكان عمرُ وعثمانُ** إذا لقيا العباس نزلا إعظاماً له إذا كان راكبين .

- **ومن قول ابن عبدربه فى رقة الأدب :**

أدبٌ كمثل الماءِ لو أفرغتَه   يوماً لسال كما يسيلُ الماءُ

من أدب على بن يحيى

أحمد بن أبى طاهر قال : قلت لعلى بن يحيى :

ما رأيت أكملَ أدباً منك !

قال : كيف لو رأيتَ إسحقَ بن إبراهيم !

فقلت : ذلك لإسحقَ بن إبراهيم !

فقال : كيف لو رأيت إبراهيم بن المهدى !

فقلت : ذلك لإبراهيم ، **فقال** : كيف لو رأيت جعفر بن يحيى !

من أدب عمر بن عبد العزيز

وقال عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : قال لى رجاء بن حيوة : ما رأيت أكرمَ أدباً ، ولا أكرمَ عشرةً من أبيك ؛ سَمَرْتُ عنده ليلةً ، فبينا نحن كذلك ؛ إذ عَشَى المصباح ، ونام الغلام .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد عشى المصباح ، ونام الغلام ، فلو أذنت لى أصلحته !

فقال : إنه ليس من مُرُوءَة[1] الرجل أن يستخدم ضيفه ، ثم حطَّ رداءه

---

(١) **المروءة** آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق ، وجميل العادات .

عن منكبيه ، وقال إلى الدَّبَّة[1] ، فصبَّ من الزيت فى المصباح ، وأشْخَص الفتيلة ، ثم رجع . وأخذ رداءه **وقال : قمت وأنا عمر ، ورجعت وأنا عمر** .

عمرُ بن الخطَّاب ورجلٌ أحْدثَ صوتاً بالمسجد

العتبى عن أبيه قال : صوّت رجل عند عمر بن الخطاب فى المسجد . فلما كانت الصلاة قال عمر :

« عزمت على صاحب الصوت إلا قام فتوضأ »

فلم يقم أحد !

فقال جرير بنُ عبدِالله :

أعزِم علينا كلَّنا أن نقوم فنتوضأ

قال : صدقت ! ، ولا علمتك إلا سيّدا فى الجاهلية ، فقيها فى الإسلام .

« قوموا فتوضئوا »

الشحَّام والحسن

- الريّاشى عن الأصمعى قال : حدثنى عثمانُ الشحَّام

(١) **الدَّبة** بالفتح : ظرف للبذر وللزيت .
(٢) **العزم** الإرادة المتقدمة لتوطيد النفس على ما يُرى فعلُه ، فكأنه يعلن تصميمه على قيامه .

قال : **قلت** للحسن ، ياأبا سعيد .

قال : لبيك[1] .

قلت : أتقول لى لبيك ؟

قال : إنى أقولها لخادمى .

● **وقال** الشاعر :

ياحبّذا حين تُمسى الرّيحُ باردة ... وادى أُشَىَّ[2] وفتيانٌ به هُضُمْ

مُخدّمون كِرامٌ فى مجالِسِهم ... وفى الرحالِ إذا رافقتهم خدمُ[3]

وما أُصاحِبُ من قومٍ فأذكرهُم ... إلا يزيدُهم حُبًا إلىَّ هُمُ[4]

(١) **أى** إجابة بعد إجابة كما تقول : نعم نعم .

(٢) **أحد** أودية غرناطة وأجملها بالأندلس . وهُضُم جمع أهضم خمص البطن ولطف الكشح .

(٣) **يخدمون** من يرافقهم وإن كانوا سادة يقوم على خدمتهم الخدم فى مجالسهم .

(٤) **ذكرهم** عاطر فى كل مكان مما يحببهم إلى .

الفصل الثانى

فى السلام والإذن

من الهدى النبوى :

- **قال النبى ﷺ : أطيبوا الكلام ، وأفشوا السلام ، وأطعموا الأيتام ، وصلُّوا بالليل والناس نيام .**

أبخــل الناس

- **وقال ﷺ : أبخل الناس الذى يبخل بالسلام**

لا تقــل ..!!

- **وأتى** رجل النبى ﷺ ، **فقال** : عليك السلام يا رسول الله ! **فقال : لا تقل : عليك السلام ؛ فإنها تحية الموتى ! وقل : السلام عليك .**

عمر بن عبدالعزيز وجماعة سلموا عليه

- **وقال** صاحب حرس عمر بن عبدالعزيز : خرج عمر فى يوم عيد ، وعليه

قميص كتان ، وعمامة على قلنسوة لاطئة[1] ، فقمت إليه وسلمت عليه ، **فقال** : مَهْ[2] . أنا واحد ، وأنتم جماعة .

السلام عليَّ والردُّ عليكم .

ثم سلَّم ورددنا عليه ، ومشى ، فمشينا معه إلى المسجد .

- وقال النبى ﷺ : **يسلم الماشى على القاعد ، والراكب على الراجل ، والكبير على الصغير .**

- **ودخل رجل على النبى ﷺ فقال له :**

– أبى يُقْرِئك السلام .

فقال : عليك وعلى أبيك السلام .

ابن مسعود وابن الخطاب والأسود

- إبراهيم عن الأسود **قال :**

قال عبدالله بن مسعود : إذا لقيت عمرَ فاقرأ عليه السلام .

قال : فلقيته ، فأقرأْتُه السلام ، فقال : عليك وعليه السلام

سليمان بن هشام وابن مهران

- **دخل ميمون بن مهران** على سليمان بن هشام ، وهو والى الجزيرة **فقال** : السلام عليكم .

---

(١) **القَلَنْسُوة** : ما يلبس فوق الرأس تحت العمامة وفى المنجد : **اللاطئة** : قلنسوة صغيرة « تلطا » أى تلصق بالرأس .

(٢) **مَهْ** : اسم فعل بمعنى انكفف .

فقال له سليمان : ما منعك أن تسلم بالإمرة ؟[١] .

فقال : (إنما يُسَلَّم على الوالى بالإمرة إذا كان عنده الناس .

الحسن وإبراهيم وابن مهران

- أبو بكر بن أبى شيبة قال : كان الحسن وإبراهيم وميمون بن مهران يكرهون أن يقول الرجل : حياك الله[٢] ، حتى يقول السلام .

ماذا يقول من لا يجد أحداً ؟!

- وسئل عبدالله بن عمر عن الرجل يدخل المسجدَ أو البيت ليس فيه أحد ، قال :

يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

السلام على من يقضى حاجته

- ومر رجل بالنبى ﷺ وهو يبول فسلم عليه ، فلم يرد عليه السلام .

بم نرد على من يسألنا : كيف أصبحت ؟

- وقال رجل لعائشة رضى الله عنها : كيف أصبحت ؟

قالت : بنعمة من الله !!

---

(١) أى تقول : السلام عليك يا أمير المسلمين ..

(١) دعاء بالحياة .

● **وقال** رجل **لشريح** : كيف أصبحت ؟ **قال** :

طويلاً أَملِى !

قصيراً أجَلى !

سيِّئاً عملى !

● **وقيل** لسفيان الثورى : كيف أصبحت ؟ **قال** : أصبحت فى دار حارت فيها الأدلَّاء !

كيف نستأذن ؟

● واستأذن رجل من بنى عامر على النبى ﷺ وهو فى بيته ، **فقال** : أَلجُ ؟

فقال النبى ﷺ لخادمه : آخرج إلى هذا فعلِّمه الاستئذان ، وقل له : يقول : السلام عليكم . أدخل ؟

● **جابر بن عبدالله قال :**

استأذنت على النبى ﷺ **فقال** : **من أنت ؟ فقلت** : أنا . **قال** : **أنا أنا !!**

الاستئذان ثلاثة

● **وقال النبى ﷺ : الاستئذان ثلاثة ، فإن أُذِن لك ، وإلا فارجع .**

● **وقال علىٌّ بنُ أبى طالب :**

● **الأولى** إِذْنٌ .

● **والثانية** مؤامرة[1] .

● **والثالثة** عزيمة ؛ إما أن يأذنوا ، وإما أن يردوا .

(١) المؤامرة والائتمار المشاورة والتأمّر بالشيء والهم به .

الفصـــل الثالث

الأدبُ فى الاعتـــاق

أبو بكر بن محمد قال :

حدثنا سعيد بن إسحاق عن ابن يونس المدينى **قال** : كنت جالسا
ند مالك بن أنس ، فإذا سفيان بن عيينة يستأذن بالباب .

فقال مالك : رجلٌ صالح صاحب سُنَّة ، أَدْخِلُوه . فدخل **فقال** :
لام خاص ، وعام عليك يا أبا عبدالله ورحمة الله .

فقال مالك : وعليك السلام ياأبا محمد ورحمة الله . **فصافحه مالك**
قال : ياأبا محمد ، **لولا أنها بدعة لعانقناك** .

فقال سفيان : قد عانق من هو خيرٌ منَّا رسول الله ﷺ .

فقال مالك : جعْفراً ؟

قال : نعم .

فقال مالك : ذاك حديث خاص ياأبا محمد ليس بعام .

فقال سفيان : ما عَمَّ جعفراً يَعُمُّنا ، وما خصَّه يَخُصُّنا .

إذا كنا صالحين ؛ أفتأذن لى أن أحدث فى مجلسك ؟

قال : نَعَمْ ياأبا محمد .

فقال : حدثنى عبدالله بن طاوس عن أبيه عن عبدالله بن عباس : أنه لما

قدم جعفر من أرض الحبشة ، اعتنقه النبى ﷺ وقبله بين عينيه .

وقال : جَعْفَرُ أشبَهُ الناسِ بى خَلْقاً وخُلُقاً »[1] .

---

(١) **جعفر بن أبى طالب** بن عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم . صحابى هاشمى : من شجعانهم ، وهو أخو أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وكان أسنَّ من على بعشر سنين ، وهو من السابقين للإسلام . أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ويدعو فيها ، وهاجر إلى الحبشة فى الهجرة الثانية ، فلم يزل هنالك إلى أن هاجر النبى ﷺ إلى المدينة ، فقدم عليه جعفر ، وهو بخيبر سنة ٧ هـ ، وحضر وقعة مؤتة فنزل على فرسه وقاتل ، ثم حمل الراية ، وتقدم صفوف المسلمين فلم يزل يقاتل حتى استشهد ، وفى جسمه نحو تسعين طعنة ورمية . الأعلام للزركلى – نقلا عن الإصابة ج ١ ص ٢٣٧ .

والحديث – رواه – ابن الإمام أحمد . الزوائد – عن الشعبى مرسلا .

الفصل الرابع

الإذن فى القُبْلة

- **عبدالرحمن** بن أبى ليلى عن عبدالله بن عمر **قال** :

كنا نقبِّل يدَ النبى ﷺ

- **وكيع عن سفيان قال** :

قبَّل أبو عبيدة يَدَ عمرَ بن الخطاب

- **ومن حديث الشَّعبىّ قال** :

لقى النبى ﷺ جعفرَ بنَ أبى طالب ، فالتزمَه وقبَّل بين عينيه .

- **وقال إياس بن دَغْفَل** :

رأيت أبا نَضْرَةَ يقبِّل خدَّ الحسين .

- **الشيبانى عن أبى الحسن عن مصعب قال** :

رأيت رجلا دخل عَلَى عَلِيّ بن الحسين رضى الله عنهما فى المسجد ، فقبل يده ، ووضعها على عينيه ، ولم ينهه .

- **العتبى قال** :

دخل رجلٌ على هشام بن عبدالملك فقبَّل يده **فقال** : أفٍّ له !؛ إن العرب ما قبلت الأيدى ألا هلوعاً ، ولا قبلتها العجم إلا خُضوعاً[1] .

(١) **أف** : اسم فعل بمعنى أتضجر وهى تعبر عن الضيق والكراهية – والهلع : **أفحش** الجزع ، والفزع من الشر وعدم الصبر عند المصيبة .. والمقصود أنهم لم يقبلوا الأيدى إلا فى الشدائد التى تفقد الوعى والاتزان أو تحت تهديد ووعيد . وجرى الناس بعد ذلك على تقبيل أيدى الآباء والعلماء عرفانا وتقديرا ، أما غيرهم فقد وجدنا من يقول : أنا لا أرضى بتقبيلِ يدٍ قطعها أفضل من تلك القُبَلْ .

● **واستأذن رجل المأمون فى تقبيل يده فقال** :

إن القُبلَةَ من **المؤمنِ** ذلّة ، ومن **الذمّيِّ** خديعة[1] .
ولا حاجة بك أن تَذِلّ ، ولا حاجةَ بنا أن نُخْدَع !!

● **واستأذن أبو دُلامة المهدى فى تقبيل يده** ، **فمنعه فقال** : ما منعتنى شيئا أيسرَ على عيالى فقداً من هذه .

الهجرى والمنصور

● الأصمعى **قال** : دخل أبو بكر الهجرى على المنصور ، **فقال** : يا أمير المؤمنين ، فُضّ[2] فمى ، وأنتم أهلُ بيت بركةٍ فلو أذنت لى ، فقبلتُ رأسَك ، لعلَّ الله يمسك علىَّ ما بقى من أسنانى .

قال : اختر بينها ، وبين الجائزة .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أهون علىَّ من ذهاب درهم من الجائزة ألا تبقى فى فمى حاكّة . فضحك المنصور وأمر له بجائزة .

أين نضع قبلاتنا ؟

● **وقالوا** : قُبلة الإمام فى اليد ، وقبلة الأب فى الرأس ، وقبلة الأخ فى الخد ، وقبلة الأخت فى الصدر ، وقبلة الزوجة فى الفم .

* * *

(١) **الذمى** : من بيننا وبينه عقد ذمة من أهل الكتاب .
(٢) **فُضّ فمى** : سقطت أسنانه وفى الدعاء للخطيب إذا أجاد : **لا فُض فوك** !

الفصل الخامس

الأدب فى المجالسة

من الهَدْيِ النبوىّ

لنبى ﷺ :

● ومن حديث أبى بكر بن أبى شيبة أن النبى ﷺ **قال :**

« لا يُقِم الرَّجلُ الرجلَ عن مجلسه ولكن ليوسع له »

من أدب الصحابة

● وكان **عبدالله بن عمر إذا قام له الرجل عن مجلسه لم يجلس فيه !**

وقال : لا يقم أحد عن مجلسه ، ولكن أَفْسِحوا يفسح الله لكم .

هكذا فعل الرسول

● **أبو أُمامة قال** : خرج علينا النبى ﷺ فقمنا إليه ؛ فقال :

« لا تقوموا كما يقوم العجم لعظمائها ، فما قام إليه أحد منا بعد ذلك» .

● **ومن حديث ابن عمر** أن النبى ﷺ **قال : « إن خرجت إليكم وأنتم**

جلوس ، فلا يقومَنَّ أحدٌ منكم فى وجهى ؛ وإن قمت فكما أنتم ، وإن جلستُ فكما أنتم ، فإن ذلك خُلُق من أخلاق المشركين .

أيهما أحق ؟

● وقال ﷺ : الرجل أحقُّ بصدرِ دابته ، وصدر مجلسه ، وصدر فراشه ومن قام عن مجلسه ، ورجع إليه فهو أحقُّ به .

من مواضع الاستئذان

● وقال ﷺ : « إذا جلس إليك أحد ، فلا تَقُمْ حتى تستأذِنَه »

كيف تصرف الحسن بن على ؟

● **وجلس** رجل إلى الحسن بن على – عليهما الرضوان – **فقال له** : إنك جلست إلينا ونحن نريد القيام ، أفتأذن ؟

وكيف كان يتصرف سعيد بن العاص ؟

● وقال سعيد بن العاص :

ما مدَدْتُ رِجْلَىَّ قط بين يدىْ جليس
ولا قمتُ عن مجلسى حتى يقوم !!

مع إبراهيم النخعى ودخول البيوت

- **وقال إبراهيم النخعى :**

« إذا دخل أحدكم بيتا فلْيَجْلس حيثُ أَجلَسه أهلُه »

أبو قُلابة وجليسه

- وطرح أبو قُلابه لرجل جلس إليه – وسادةً – فردها **فقال** : أما سمعت الحديث :

« لا ترد على أخيك كرامته »

على بن أبى طالب ومن يرد الكرامة

- **وقال على** بن أبى طالب – رضى الله عليه – لا يأبى الكرامة إلا حمـار !

سعيد بن العاص وحق جليسه عليه

- **وقال سعيد بن العاص** :

لجليسى عَلَىَّ ثلاث :

١ – إذا دنا رَحَّبتُ به .

٢ – وإذا جلس وسَّعت له .

٣ – وإذا حدَّث اقبلت عليه .

• **وقال : إنى لأكره أن يَمُرَّ الذبابُ بجليسى مخافَة أن يُؤذِيَهُ !**

معاوية والأحنف

• **الهيثم** بن **عدى** عن عامر الشعبى قال :

دخل **الأحنف** بن قيس على معاوية ؛ فأشار إلى وسادة ، فلم يجلس عليها ، فقال له : ما منعك يا أحنف أن تجلس على الوسادة ؟ فقال :

– يا أمير المؤمنين ، إن فيما أوصى به قيس بن عاصم ولده **أن قال** :

• لا تَسْعَ للسلطانِ حتى يَمَلَّك !
• ولا تقطعْه حتى ينساك !
• ولا تجلس له على فراشٍ ولا وسادةٍ .
• واجعل بينك وبينه مجلسَ رجلٍ أو رجلين !

فيم يكون الحديث ؟ وعم يكون السؤال ؟

• **وقال الحسن :**

مجالسة الرجل من غير أن يُسأَل عن اسمه واسم أبيه ، مجالسة النَّوْكى[1] .

---

(١) **النَّوْكى** : الحمقى . وأجمل شيء لدى المتحدثين أن ينادَى كل باسمه ، فللأسماء وقع السحر فى النفوس .

• ولذلك قال **شبيب لأبى جعفر** ، ولقيه فى الطواف ، وهو لا يعرفه ، فأعجبه حُسْنُ هيئته وسَمْته :

أصلحك الله ؛ إنى أحب المعرفة ، وأُجلُّك عن المسألة

فقال : أنا فلان بن فلان .

• **قال زياد** : ما أتيت مجلسا قط إلا تركت منه ما لو جلست فيه لكان لى ، وتركُ مالى أحبُّ إلى من أخْذِ ما لَيْس لى .

• **وقال** : إياك وصدورَ المجالس ، وإن صَدَّرَكَ صاحبُها ؛ فإنها مجالس قُلَعَةٌ[1] .

• **وقال الشعبى** :

لأن أُدعى من بُعد إلى قُرب أحبُّ إلى من أن أُقصى من قُربٍ إلى بُعد .

ابن طاهر وأبو السمراء

وذكروا أنه كان يوما أبو السمراء عند عبدالله بن طاهر ، وعنده إسحاق بن إبراهيم ، فاستَدْنى عبدالله إسحاق فناجاه بشىء ، وطالت النجوى بينهما **قال** : فاعترتنى حيرة : فيما بين القعود على ما هما عليه والقيام ، حتى انقطع ما بينهما ، وتنحى إسحاق إلى موقفه ونظر عبدالله إلى **فقال** :

ياأبا السمراء :

---

(١) **سريعا** : ما تتخلى عن جالسها لقدوم من هو خير منه ! فيقصى الجالس فى الصدر ويبعد !! ويقلع من مجلسه كما تقلع الأشجار !!

إذا النَّجِيَّان[1] سَرَّا عنك أمرهمـا
فانزحْ بسمعِك تَجْهلْ ما يقولان
ولا تُحَمِّلْهما ثِقَلاً لخوفهما
على تناجيهما بالمجلسِ الدانى

فما رأيت أكرم منه ، ولا أرفق أدبا ؛ ترك مطالبتى فى هفوتى بحق الأمراء ، وأدبنى أدب النظراء !!

المؤمن مرآة أخيه

- **وقال النبى ﷺ : « إنما أحدكم مرآة أخيه ، فإذا رأى عليه أذًى فَلْيُمِطْهُ[2] عنه ، وإذا أخذ أحدكم عن أخيه شيئا فليقل ؛ لابك السوء ، وصرف الله عنك السوء .**
- **وقالوا :**

إذا اجتمعت حرمتان : أسقطت الصغرى الكبرى .

- **وقال المهلب بن أبى صفرة :**

العيش كله فى الجليس الممتع !!

(١) **النجيان** : اللذان يتناجيان فى همس حتى لا يسمع أحد حديثهما والنجوى الحديث الخفى .
(٢) **إماطة** الأذى : إبعاده وتنحيته .

الفصل السادس

الأدب فى تشميت العاطس

متى نشمت[1] العاطس ؟

• **للنبى ﷺ :**

من حديث أبى بكر بن أبى شيبة قال : **قال** النبى ﷺ : « **لا تُشمِّت العاطس حتى يحمدِ الله ، فإن لم يحمده ، فلا تشمته** »

وقال : « إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه ، وإن لم يحمد الله فلا تشمتوه »

• **وقال علىٌّ رضى الله عنه :**

يشمت العاطس إلى ثلاث ؛ فإن زاد فهو داء يخرج من رأسه .

• **عطس ابن عمر فقالوا له :**

يرحمك الله ! فقال : يهديكم الله ويُصلحُ بالكم .

• وعطس على بن أبى طالب فحمد الله ، فقيل له : يرحمك الله .

فقال : يغفر الله لنا ولكم .

• **وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :**

إذا عطس أحدكم فشمتوه ثلاثا .

(١) **التشميت** هو التسميت . والتسميت ذكر الله تعالى على الشىء والدعاء للعاطس .

فإذا زاد ، فقولوا : إنك مضنوك[1] .

● **وقال بعضهم** : التشميت مرة واحدة .

* * *

---

(١) ضنك ضنكا : زُكِم ، فهو مضنوك أى مزكوم .

الفصل السابـع

الأدب فى المماشاة

كيف رأيت ابن عمك ؟!

• **وجه هشام بن عبد الملك** ابنه على الصائفة ، ووجه معه ابن أخيه ، وأوصى كلَّ واحد منهما بصاحبه .

فلما قدم عليه ، قال لابن أخيه : كيف رأيت ابن عمك ؟

فقال : إن شئتَ أَجْملت ، وإن شئت فصَّلت .

قال : با، أَجْمِلْ .

قال : عرضت بيننا جادَّة ، فتركها كل واحد منا لصاحبه ! فما ركبنا حتى رجعنا إليك !!

كن بحالك حتى أستُرك كما سترتنى !

• **وقال يحيى بن أكثم** : ماشيت المأمون يوما من الأيام فى بستان مُؤْنِسَة بنت المهدى ، فكنت من الجانب الذى يستره من الشمس ، فلما انتهى إلى آخره وأراد الرجوع ، أردت أدور إلى الجانب الذى يسترد من الشمس ، **فقال** : لا تفعل ، ولكن كن بحالك ؛ حتى أسترك كما سترتنى !

فقلت : يا أمير المؤمنين ، لو قدرت أن أقِيكَ حر النار لفعلت ، فكيف الشمس ؟!

فقال : ليس هذا من كرم الصحبة .

ومشى ساترا لى من الشمس كما سترته![1]

كيف بِرُّ ٱبنِكَ لك ؟!

● **وقيل** لعمر بن ذر : كيف برُّ ابنك بك ؟

قال : ما مشيت نهاراً قط إلا مشى
خلفى !
ولا ليلا إلا مشى أمامى !
ولا رَقى سطحا وأنا تحته !

وكيف لا أستخلصه ؟!

● **وقيل** لزياد : إنك تستخلص حارثة بن زيد ، وهو يواقع الشراب ! **فقال** : وكيف لا أستخلصه ؟ وما سألته عن شيء قط إلا وجدت عنده منه

---

(١) ومن أدب الصحبة : ما روى أن الأمير (عباس حلمى) استدعى « أحمد شوقى » فى صباه للتنزه فى مزرعته ، فى ساعة شديدة الحر ، وكان يحمل مظلة ، ولا مظلة لشوقى ، فلما رأى الأمير أن الشمس آذته ناوله مظلته كى يتقى حرارة الشمس فقال شوقى على الفور :

عباسُ مولاى أهدانى مِظلته ... يظلّل الله عباسا ويرعاه
ما لى وللشمس أخشاها وأحذرها ... من كان فى ظلّه فالشمس تخشاه

وكان لهذه المجاملة من كليهما أثرها فى نفسيهما فطرب الأمير من هذين البيتين كل الطرب ، وقضى يومه فى سرور .

علما ، ولا استودعته سرًّا قط فضيَّعه ، ولا راكبنى قط فمست ركبتى ركبته ![1]

بين الهادى وابن يزيد فى سفر

● **محمد بن يزيد بن** عمر بن عبد العزيز **قال** :

خرجت مع موسى الهادى أمير المؤمنين من جُرجان ، فقال لى : إمَّا أن تحملَنى ، وإمَّا أن أحملَك ، فعلمت ما أراد ، فأنشدته أبيات ابن صِرمة :

أوصيكُم باللهِ أولَ وَهْلَةٍ	وأحسابكم ، والبرّ باللهِ أوَّل
وإن قومُكم سادوا فلا تَحسدوهُم	وإن كُنتُم أهلَ السيادةِ فاعدِلُوا
وإن أنتُم أعوزْتُم فتَعفَّفُوا	وإن كان فضْلُ المالِ فيكم فأفضلوا
وإن نزلَتْ إحدى الدواهي بقومكُمْ	فأنْفُسَكُم دونَ العشيرةِ فاجعلوا
وإن طلبُوا عُرْفاً فلا تَحْرمُوهُمُ	وما حَمَّلُوكُم فى المُلِمَّاتِ فاحملوا

قال : فأمرلى بعشرين ألف درهم !

بين الهادى وابن سلْم وعبد الله بن مالك

● **وقيل** : إن سعيد بن سلْم راكَب موسى الهادى ، والحربةُ بيد عبدالله بن مالك ، وكانت الريح تَسفِى التراب[2] وعبدالله يلحظ مسير موسى ،

(١) على الحاكم أن يحسن اختيار بطانته مراعيا بعدهم عن محارم الله .
(٢) **تسفى** : تحمل التراب وتذروه .

فيتكلف أن يسيرَ على محاذاته وإذا حاذاه ناله ذلك التراب ؛ فلما طال ذلك عليه أقبل على سعيد بن سلْم **فقال** : أما ترى ما نلقى من هذا الخائن ؟ **قال** : والله يا أمير المؤمنين ، ما قصر فى الاجتهاد ، ولكن حُرم التوفيق !

* * *

الفصل الثامن

الأدبُ فى العِيادَة

أهل العافية ، وأهل البلاء !

• **مرض أبو عمرو بن العلاء** ، فدخل عليه رجلٌ من أصحابه ، **فقال له** :
أريد أن أساهرَك الليلة . قال له :

أنت معافًى ، وأنا مُبْتَلًى ؛ فالعافية لا تدعك أن تسهر والبلاء لا يدعنى أن أنام !

وأسأل الله أن يهبَ لأهل العافية الشكر ، ولأهل البلاء الصبر .

لو كان يقبل فدية

• ودخل **كُثَيِّر عزة** على **عبدالعزيز بن مروان** وهو مريض ، فقال : لو أن سرورَك لا يتم إلا بأن تَسْلَمَ وأَسْقَم ، لدعوت ربى أن يصرفَ مابك إلىَّ ، ولكن أسأل الله لك أيها الأمير العافيةَ ، ولى فى كنفك النعمة .

فضحك ، وأمر له بجائزة . فخرج وهو **يقول** :

ونعودُ سيدنا وسيِّدَ غيرنا ليت التشكِّى كان بالعُوَّاد
لو كان يقبلُ فديةً لفديتُه بالمصطفى من طارِفِى وتلادِى

وكتب رجل من أهل الأدب إلى عليل !

نُبِّئْتُ أنّك مُعْتَلٌّ فقُلْتُ لهم نفسى الفداءُ له من كل مَحْذورِ
ياليت عِلَّته بى ثم كان له أجرُ العليلِ وأنّى غيرُ مأجور

وكتب آخر إلى عليل :

وقيناك لو يُعْطَى الهوى فيك والمُنَى
لكان بنا الشكوى ، وكان لك الأجر

أيُّهذا الأمير ..

يحيى بن خالد وشاعرٌ اعْتَلّ

● وكان شاعر يختلف[1] إلى يحيىٰ بن خالد بن برمك ويمتدحه فغاب عنه أياما لِعِلّة عرضت له ، فلم يفتقده[2] يحيى ، ولم يسأل عنه ، فلما أفاق الرجل من علته كتب إليه :

أيُّهذا الأمير أكرمك اللـــ ـــه وأبقاك لى بقاءً طويلاً
أجميلاً تراه أصلحك اللـــ ـــه لكيلا أراه أيضا جميلا
أننى قد أقمت عنك طويلا لا تُرى مُنْفِذاً إلىَّ رسولا
أَلِذَنْبٍ فما علمتُ سِوَى الشّكْـ ـــرِ لِمَا قَدْ أَوْ لَيْتَنِيهِ جزيلا
أم مَلاًلا فما عَلِمْتُك للحـــا فِظِ مِثْلى على الزمانِ ملولا
قد أتى اللهُ بالصلاح فما أنـــ ـكرت مما عهدتُ إلا قليلا

---

(١) **يختلف إليه** : يتردد عليه بين الحين والحين .
(٢) **لم يسأل** عنه ولم يحس بفقده .

وأكلْتُ الدُرّاج وهْو غِذاءٌ أفَلَتْ عِلّتى عليه أُفُولا
وكأنى قدمت قبلَك آتيـــ ـك غداً إن أجد إليك سبيــلا

فكتب إليه الوزير يعتذر :

دفع اللهُ عنك نائبةَ الدهـــ ـرِ وحاشاك أن تكونَ عَلِيلَا
أُشْهِدُ اللّهَ ما علمتُ وماذا ك من العذر جائزا مقبولا
ولَعَلّى لو قد علمتُ لعاوَدْ تُك شهراً وكان ذاك قليلا
فاجعلَنّ لى إلىٰ التَعلُّقِ بالعُذْ رِ سبيلاً إن لم أَجِدْ لى سبيلا
فقديما ما جاء ذو الفضل بالفضـ ـــلِ وما سامح الخليلُ خليــلا

من ألوان المجاملة للمريض !

• وكتب المعتصم إلى عبدالله بن طاهر :

أعْزِزْ عَلَيَّ بأن أراك عليلا أو أن يكون بك السقامُ نزيلا
فوددت أنّى مالكٌ لسلامتى فأعيرها لك بكرة وأصيلا
فتكونَ تَبْقى سالما بسلامتى وأكون مما قد عَرَاك بديلا
هذا أخ لك يشتكي ما تشتكى وكذا الخليلُ إذا أحبَّ خليلا

الزيارة المثالية !

• ومرض يحيى بن خالد ، فكان إسماعيل بن صبيح الكاتب إذا دخل عليه يعوده ، وقف عند رأسه ودعا له ، ثم يخرج فيسأل الحاجب عن منامه وشرابه

وطعامه ، فلما أفاق **قال** : يحيى بن خالد : ما عادنى فى مرضى هذا إلا إسماعيل بن صبيح .

● **وقال الشاعر :**

عيادةُ المرء يوم بين يومين وجِلْسَةٌ لك مثل اللحظ بالعين
لا تُبْرِمَنَّ مريضا فى مساءلةٍ يكفيك من ذاك تسْآلٌ بحرفين

إطالة الجلوس عند المرضى !!

● **وقال بكر بن عبدالله** لقوم عادوه فى مرضه فأطالوا الجلوس عنده :

المريض يعاد ، والصحيح يُزَار .

ما هو أشد من المرض !

● **وقال سفيان الثورى :**

حمق القُرَّاء أشدُّ على المرضى من أمراضهم : يجيئون فى غير وقت ، ويطيلون الجلوس .

إذا خرجت عنا فلا تعد إلينا !!

● **ودخل** رجل على عمر بن عبدالعزيز يعوده فى مرضه ، فسأله عن علته ، فلما أخبره **قال** : من هذه العلة مات فلان ، ومات فلان .

فقال له عمر : إذا عدت المرضى فلا تنع إليهم الموتى ، وإذا خرجت عنا فلا تعد إلينا !

بشروا .. ولا تنفروا

● **وقال ابن عباس** : إذا دخلتم على الرجل وهو فى الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حَسن الظن ، ولقنوه الشهادة ، ولا تُضجروه .

علمك بحالى يغنى عن سؤالى !!

● **ومرض الأعمش** فأبرمه الناس بالسؤال عن حاله ، فكتب قصته فى كتاب ، وجعله عند رأسه ، فإذا سأله أحد قال : عندك القصة فى الكتاب فاقرأها .

مرض الحبيب !

● **ولبعضهم** :

مرض الحبيب فعُدْتُــه ... فمرضت من حَذرى عليــه
وأتى إلــىَّ يعودنـــــى ... فبرئت من نظـرى إليــه

محمد بن عبدالله بن طاهر وأخوه

● **ومرض محمد بن عبدالله بن طاهر فكتب إلى أخيه عبيدالله بن عبدالله :**

إنّى وجدْت على جفا ... ئِك من فعَالِك شاهداً
إنّى اعْتللْت فما فقدْ ... تُ سوى رسولِك عَائِدا
ولوِ اعتللت فلم أجِدْ ... سببا إلــيك مساعِــدا

لاستشعرَت عيني الكرى[1] حتى أعـودَك راقِـدَا

● فأجـابه :

كُحلَتْ مُقْلتي بشوكِ القَتَادِ[2] لم أَذُقْ حُرْقَةً لطعم الرُّقادِ

يأخي الباذِلَ المودَّةِ والنا زِلَ من مُقْلتي مكانَ السّواد

منعتني عليك رقةُ قلبـي من دخولي إليك في العُوَّاد

لو بأُذْني سَمِعْتُ منك أنيناً لتَفرَّى مع الأنينِ فُؤادي

● ولمحمد بن يزيد :

ياعليلاً أفديك من ألم العِلّـ ـةِ هل لي إلى اللقاءِ سبيل ؟

إن يَحُلْ دونك الحجاب فمايُحْـ ـجَبُ عَنِّي بك الضَّنَى والعويل

● وأنشد محمد بن يزيد ، قال : أنشدني أبو دُهمانَ لنفسه وقد دخل على بعض الأمراء يعوده :

بأنفُسِنَا لا بالطوارِفِ والتُّلْدِ[3]

نقيكَ الذي تُخْفِي من السُّقْمِ أو تُبْدي

بنا - معشرَ العُوَّادِ - ما بك من أذًى

فإن أشفقوا مما أقولُ فبي وحدي

● وكتب أبو تمام الطائي إلى مالك بن طوْق في شَكاةٍ[4] له :

كم لوعةٍ للندى وكم قلقٍ للحمدِ والمكرُماتِ من قلقك

---

(١) **الكرى** : النوم .

(٢) **القتاد** : شجر مليء بالشوك وخشبه متين .

(٣) الطوارف : جمع طريف الجديد . والتُّلْد : جمع تليد وتالد وهو القديم .

(٤) **شكاة له** : مرض يشكو منه .

آلبسَك الله منه عافيـــةً | فى نومِك المُعتِرى وفى أرقك
تخرج من جسمك السَّقَامَ كما | أُخرج ذمُّ الفعالِ من خُلُقِك

● ودخل محمد بن عبدالله على المتوكل فى شَكاةٍ له يعوده ، فقال :

اللهُ يدفعُ عن نفسِ الإمامِ لَنا | وكلُّنا للمنايا دونَـه غَرَضُ
فَليتَ أن الذى يَعْرُوهُ من مَرضٍ | بالعائدين جميعا لابه المرض
فبالإمام لنا من غيرنا عوضٌ | وليس فى غيره منه لنا عِوَضُ
فما أُبَالى إذا ما نفسُه سلمت | لو باد كلُّ عبادِ الله وانقرضوا

● وقال آخر فى بعض الأمراء :

واعتلَّ فاعتلت الدنيا لِعلَّتِه | واعتلَّ فاعتلَّ فيه البأسُ والكرم
لما استَقَلَّ أنارَ المجدُ وانقشعت | عنه الضبابةُ والأحزان والسَّقَمُ

● وبلغ قيسا مجنون بنى عامر أن ليلى بالعراق مريضة فقال :

يقولون ليلى بالعراق مريضة | فمالكَ تَجْفُوها وأنت صديق ؟!
شفى الله مَرْضَى بالعراق فإننى | على كل شاكٍ بالعراق شفيقُ

● ولمحمد بن عبدالله بن طاهر :

ألْبَسَك الله منها عافيـــةً | تغنيك عن دعوتى وعن جلَدِك
سُقْمُك ذا لا لِعلَّةٍ عرضَتْ | بل سُقْمُ عينيك رُدَّ فى جسدك
فيا مريض الجُفونِ أحْيِ فتىً | قَتَلْتَه بالجُفونِ لا بيدك

● وقال غيره :

يا أملى كيف أنت من ألمك ؟! | وكيف ما تشتكيه من سَقَمِكْ ؟!
هذان يومان لى أعـدُّهما | مُذْ لم تَلُحْ لى بُروق مُبْتَسَمِكْ

حسدتُ حُمَّاك حين قيل لى بأنها قَبَّلَتْك فوق فمك[1]

● ولسحيم عبد بنى الحسحاس :

تَجَمَّعْنَ شَتّى من ثلاثٍ وأَرْبَع وواحدةٍ حتى كَمُلْن ثمانيا
وأقبلْن من أقصى الخيام يَعُدْنني ألا إنما بعض العوائد دانيا

● وللعباس بن الأحنف :

قالت : مرضت فَعُدْتُها فتبرَّمت وُهى الصحيحة والمريض العائد
والله لو قست القلوبُ كقلبها ما رق للولد الضعيف الوالِدُ

● وقال الواثق :

لابك السُّقْم ولكن كان بى وبنـــفسى وبأمـــى وأبى
قيل لى : إنك صُدِّعت فما خالَطَتْ سَمْعِىَ حتى دير بى

● وأنشد محمد بن يزيد المبرد لعلية بنت المهدى :

تمارضت كى أشْجَى ومابكِ علةٌ تريدين قتلى قد ظفرتِ بذلكِ
وقولك للعُوَّاد كيف ترونه ؟ فقالوا : قتيلا . قلت : أهون هالك
لئن ساءنى أن نِلْتِنى بمساءةٍ لقد سرَّنى أنّى خطرتُ ببالكِ

● ومن قولنا فى هذا المعنى :

روح الندى بين أثواب العلا وصِبُ
يَعْتَلُّ فى جسدٍ للمجدِ موصوب
ما أنت وحدك مكسوٌّ شحوبَ ضنى
بل كلنا بك من مُضْنًى ومَشْحوبِ

---

(١) يقصد : ما يظهر على فم المريض من بثور والتهابات بعد زوال الحمى .

يامن عليه حجابٌ من جلالتـه
وإن بدا لك يوما غير محجوب
ألقى عليك يداً للضُّرِّ كاشفةً
كشّافُ ضُرِّ نبيِّ الله أيُّوب

- ومثله من قولنا :

لا غَرْوَ إن نال منك السُّقْمُ والضرر
قد تكْسَفُ الشمس لا بَلْ يُخسَفُ القمر
يا غُرة القمَرِ الذّاوى[1] غضارتها
فِدًى لنورِك مِنِّى السمعُ والبصَرُ

(١) الذاوى : الذابل . والغضارة النضارة والحيوية .

الفصل التاسع

حسن الاستماع وحسن الحديث

● **وقال بعض الحكماء لابنه :**

● يابُنَىّ **تعلَّم حُسْنَ الاستماع كما تتعلم حُسْنَ الحديث** .

● **ولْيَعْلَمِ** الناسُ أنك أحرصُ على أن تسمعَ مِنْكَ على أن تقول .

● **فاحذر** أن تُسْرِعَ فى القول فيما يجبُ الرجوعُ عنه بالفعل ؛ حتى يعلَم الناسُ أنك على فعلٍ ما لم تَقُل أقربَ منك إلى قولٍ ما لم تفعل .

من حسن الأدب

● **قالــوا :**

● من **حُسنِ الأدبِ** ألّا تغالبَ أحداً على كلامِه .

● وإذا **سُئِل غيرُك** فلا تُجب عنه .

● وإذا **حدّث بحديثٍ** ، فلا تنازعه إياه ، ولا تقتحم[1] عليه فيه ، **ولا تُرِهِ** أنك تعلمه .

● وإذا **كلمت صاحبك** فأخذته حُجّتُك ، **فحَسِّنْ** مَخرجَ ذلك عليه ، ولا تُظْهِر الظَفر به .

---

(١) **لا تقتحم عليه فيه** : لا ترم بنفسك وتدخل فيه ، ولا تكن فضوليا .

• **وتعلَّم حُسْنَ** الاستماع ، كما تعلَّمُ حسن الكلام[1] .

مع الحسن البصرى

• **وقال الحسن البصرى**[2] :

حدثوا الناسَ ما أقبلوا عليكم بوجوههم

مع أبى عباد الكاتب

• **وقال أبو عباد الكاتب** :

إذا أنكر المتكلم عين السامع ؛ فليسأله عن مقاطع حديثه ، والسبب الذى أجرى ذلك له .

فإن وجده يقف على الحق ، أَتَمَّ الحديث ، وإلا قطعه عنه ، وحرمه مؤانسته ، وعرفه ما فى سوء الاستماع من الفسولة[3] ، والحرمان للفائدة .

---

(١) **إن المحادثة** هى فن الفنون . والاتزان فى الحديث مع بعد النظر وعدم التكلف والبساطة والصراحة مما يجعل الشخصية جذابة وهذه الجاذبية هى التى تؤدى بها إلى النجاح .

ومن أسرار هذا الفن القدرة على الاستماع ؛ لأن المتكلم لا يبغض شيئا بغضه للمقاطع له .

(٢) **الحسن البصرى** (٢١ - ١١٠ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٨ م) : كان إمام أهل البصرة ، وحَبْر الأمة فى زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك تهذيب التهذيب . ووفيات الأعيان ، وميزان الاعتدال .

(٣) **الفسولة** : يقال : رجل فَسْل أى ضعيف الشخصية لا مروءة له ولا جلد .

رأس الأدب

• **وقالت الحكماء** : رأسُ الأدب كلِّه : حُسْنُ الفهم والتَّفَهُّم والإصغاء للمتكلّم .

قوم مثاليــون

• **وذكر الشعبىُّ قوماً فقال** :

ما رأيت مثلهم أسَدَّ تناوباً فى مجلس ، ولا أحسن فهما من مُحدِّث .

الشعبىّ وعبدالملك بن مروان

• **وقال الشعبى** فيما يصف به عبدَ الملك بن مروان :

والله ما علِمتُه إلا آخذاً بثلاث ، تاركا لثلاث :

آخذاً :

- بحُسنِ الحديث إذا حَدَّث .
- وبحُسْنِ الاستماع إذا حُدِّث .
- وبأَيْسَرِ المئونة إذا خولف .

تاركا :

لمجاوبةِ اللئيم ، ومُمَاراةِ السفيه ، ومنازعة اللَّجُوج .

التحفظ من المقالة القبيحه[1]
وإن كانت باطلا

- **قالت الحكماء** : إيّاك وما يُعْتَذَر منه !
- **وقالوا** : من عرَّض نفسه للتهم ؛ فلا يأمن من إساءة الظن .
- **وقالوا** : حسبك من شرٍّ سماعه .
- **وقالوا** : كفى بالقولِ عاراً ، وإن كان باطِلاً .
- **وقال الشاعر** :

ومن دعا الناس إلى ذَمِّه
ذموه بالحق ، وبالباطِل

- **وقال آخر** :

قد قيل ذلك إن حقًّا وإن كذباً
فما اعتذارُك من قولٍ إذا قيلا ؟!

---

(١) **آه** لو عرفنا أن كل كلمة ننطق بها إنما هى حجر نقيمه فى بناء الصداقة أو العداء .. فكم ننبذ من الكلام الذى لا طائل وراءه ولا فائدة فيه .

لو استطعنا أن نمحو من قاموسنا كل الكلمات التى فيها روح العداء ، والكلمات الجارحة تلك التى تترك أثرا سيئا من بعدنا .. لو أبدلناها بكلمات الصداقة والنبل .. فكم تتغير أحاديثنا وبالتالى حياتنا .. ومن هنا كانت الكلمة الطيبة – صدقة – فى نظر الإسلام !

● **وقال أرسطا طاليس للإسكندر :**

إن الناس إذا قدروا أن يقولوا قدروا أن يفعلوا فاحترس من أن يقولوا **تسلم** من أن يفعلوا !!

● **وقال امرؤ القيس :**

**..................	وجرحُ اللسانِ كجرحِ اليدِ !!**

● **وقال الأخطل :**

**....................	والقول ينفُذ مالا تنفذُ الإبَرُ**

● **وقال يعقوب الحمدونى :**

وقد يُرْجَى لجرح السيف بُرْءٌ
ولا بُرْءٌ لما جرح اللسان[1]

● **ولآخـــر :**

ولو صَحَّ ما قالوا لفُزْتُ به
من لى بتصديق ماقالوا وتكذيبى ؟!

---

(١) ومثله قول الشاعر :

جراحات السنان لها التئام	ولا يلتام ما جرح اللســان

الفصل العاشـر

الأدب فى المؤاكلة وإصلاح المعيشة

بم نأكل ونشرب ؟.

● **قال النبى ﷺ : إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه ولْيَشْرَب بيمينه ؛ فإن الشيطان يأكل بشماله ، ويشرب بشماله .**

بلال والجارود :

● **محمد بن سلام الجمحِيّ قال** : **قال** بلال بن أبى بُرْدة وهو أمير على البصرة للجارود بن سَبْرة الهُذَلىّ : أتحضر طعام هذا الشيخ ؟ يعنى عبدالأعلى بن عبدالله بن عامر ؛ **قال** : نعم .

قال : فصِفْهُ لى .

قال : نأتيه ، فنجده منبطحا ، يعنى نائما ، فنجلس حتى يَستيقظَ ، فيأذن ، فنساقطه الحديث[1] ، فإن حدثناه أحسن الاستماع ، وإن حدثنا أحسن الحديث .

ثم يدعو بمائدته ، وقد تقدّم إلى جواريه ، وأمهات أولاده ألا تلفظ واحدة منهن إذ وضعت مائدة .

---

[1] **نبادله** الحديث .

ثم يُقْبِلُ خبَّازُه ، فيمْثُل بين يديه قائما ، فيقول له : ما عندك ؟

فيقول : عندى كذا وكذا ، فيعدد ما عنده . يريد بذلك أن يَحْبسَ كل رجلٍ نفسه وشهوته على ما يريد من الطعام .

وتُقْبِلُ الألوان من هاهنا ومن هاهنا ، فتوضع على المائدة ، ثم يؤتى بثريدةٍ[1] شهباء من الفُلْفُل ، رقطاء من الحِمَّص ، ذاتِ حفَافَيْن من العُراق ، فيأكُلُ معذِراً ، حتى إذا ظن أن القوم قد كادوا يمتلئون ، جثا على ركبتيه ثم استأنف الأكَلَ معهم .

أعرابى وسفرة هشام بن عبدالملك :

- **وحضر أعرابى** سفرة هشام بن عبدالملك فبينا هو يأكل معه إذ تعلقت شعرة فى لقمة الأعرابى ، **فقال له هشام** : عندك شعرة فى لقمتك يا أعرابى .

فقال : وإنك لتلاحظنى ملاحظة من يرى الشعرة فى لقمتى ! والله ما أكلت عندك أبدا ، ثم خرج هو يقول :

وَلَلْموت خيرٌ من زيارةٍ باخلٍ
يلاحظُ أطراف الأكيل على عَمْدِ

(١) **ثرد الخبز** : فته ثم بله بالمرق فالخبز ثريد . **والثريدة** الشهباء التى يتخلل بياضها سواد الفُلْفُل . **والرقطاء** المنقطة .. وحبات الحمص تكون نقطا على وجه الثريد . **والحفاف** : الجانب والحافة . **والعُراق** العظم أكل لحمه . ويأكل معذرا أى يقصر ولا يسرع حتى لا يمتلىء قبل ضيوفه .

بين المنصور وأعرابى

● **محمد بن زيد قال :**

أكل قائد لأبى جعفر المنصور معه يوما ، وكان على المائدة محمد المهدى وصالحٌ ابناه ، فبينا الرجل يأكل من ثريدة بين أيديهم ، إذ سقط بعضُ الطعام من فيه فى الغضَّارة[1] ، فكأن المهدِىَّ وأخاه عافا الأكلَ معه ، فأخذ أبو جعفر الطعام الذى سقط من فم الرجل فأكله ، فالتفت إليه الرجل **فقال :**

يا أميرَ المؤمنين ، أما الدنيا فهى أقلُّ وأيسرُ من أن أتركها لك والله لأتركنَّ فى مرضاتِك الدنيا والآخرة .

المنصور وهاشمى والربيع حاجبه

وحدَّث إبراهيم بن السندى قال : كان فتى من بنى هاشم يدخل على المنصور كثيرا ، يسلم من بعيد وينصرف ، فأتاه يوما فأدناه ، ثم دعاه إلى الغداء ، **فقال له** : قد تغديت !

فأمهله الربيع حاجب المنصور حتى ظن أنه لم يفهم الخطيئة ، فلما انصرف وصار وراء الستر دفعه فى قفاه ، فلما رأى من الحاجب دفعه فى قفاه ، شكا الفتى حالته وما ناله إلى عمومته ، فأقبلوا من غد إلى أبى جعفر **وقالوا** : إن الربيع نال من هذا الفتى كذا وكذا . فقال لهم أبو جعفر :

---

(١) **الغضارة** : القصعة الكبيرة والإناء من خزف .

إن الربيع لا يقدم على مثل هذا إلا وفى يده حجة ، فإن شئتم أمسكنا عن ذلك وأغضينا[1] ، وإن شئتم سألته وأسمعتكم **قالوا** : بلى يسأله أميرُ المؤمنين ونسمع .

فدعاه فسأله ، **فقال : إن هذا الفتى كان يأتى فيسلم وينصرف من بعيد ؛ فلما كان أمس ، أدناه أمير المؤمنين حتى سلَّم من قُرب ، وتبذَّل[2] بين يديه ودعاه إلى غدائه ؛ فبلغ من جهله بحق المرتبة التى أحلَّه فيها أن قال : قد تَغَدَّيت . وإذا هو ليس عنده لمن أكل مع أمير المؤمنين وشاركه فى يده إلا سَدُّ خَلَّةِ الجوع !**[3]

ومثل هذا لا يُقَوِّمه القول دون الفعل !! فسكت القوم وانصرفوا .

أحق الناس بِلَطْمةٍ !

- **وقال بكر بن عبد الله :**

أحق الناس بلطمةٍ : من أتى طعاما لم يُدْعَ إليه .
وأحق الناسِ بلطمتين : من يقول له صاحب البيت : اجلس هاهنا . فيقول : لا هاهنا .
وأحق الناس بثلاث لطمات : من دعى إلى طعام فقال لصاحب المنزل : ادع ربة البيت تأكل معنا .

---

(١) **أغضى** عن الشىء سكت وتجاهل وصرف عنه النظر وقد جاء وصف الإمام على زين العابدين : يُغضِى حَياءً ويُغضَى من مهابته

(٢) **تبذل** : تبسط ، وأزال الكلفة وكما يقول المصريون « البساط أحمدى » .

(٣) **فمن الأدب** الإسلامى قبول الدعوة إلى الطعام . وهناك أهداف أكبر من سد خلة الجوع . هناك المودة والحب والتآلف والتقارب ، وصيانة الحقوق .. وللعيش والملح عند المصريين حقوق وحقوق !!

ما لا ينبغى !

● **وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ :**

لا ينبغى للفتى أن يكون مُكَحِّلاً ، ولا مُقَبِّباً . ولا مُكَوْكِباً ، ولا شُكامِداً ، ولاحُرامداً ، ولا نُقامِداً .

ثم فسره فقال :

أما المكحل : فالذى يتعرق العظم حتى يدعه كأنه مكحلة عاج .

وأما المقَبب : فالذى يركب اللحم بين يديه حتى يجعله كأنه قبة .

والمكوكب : الذى يبصق فى الطست[1] ، وينخم فيها حتى يصيرَ بصاقه كأنه الكواكب فى الطست .

والحُرامد : الذى يأتى وقت الغداء والعشاء فيقول : ما تأكلون ؟

فيقولون من بغضه : سُمًّا !

فيدخل يده ويقول : العيش بعدكم حرام !

والشكامد : الذى يُتْبِعُ اللقمةَ بأخرى قبل أن يسيغها فيخنق ؛ كأنه ديك قد ابتلع فأرة .

---

(١) كانوا يستخدمون إبريقا وطستا يغسل فيه ، ويمسك الخادم بالإبريق ويدور على الأكلةِ واحدا واحدا ليغسلوا أيديهم بعد الفراغ من تناول الطعام وذلك قبل أن تكون هناك أحواض وحنفيات . ولعلك تذكر قصة العبد الذى كان يصب الماء على يدى المأمون فسقط منه الإبريق وتناثر الماء على وجه المأمون ، فقال العبد : يا أمير المؤمنين ، والكاظمين الغيظ فقال : كظمت غيظى . فقال : والعافين عن الناس فقال : عفوت عنك ، فقال : والله يحب المحسنين . فقال : اذهب فأنت حر !

والبصاق والنخامة مما تعافه النفس ويمجه الذوق السليم ، وعلى الإنسان أن يبعد بهما عن شوارعنا وأماكن اللقاء ومجالسنا !!

والنُّقَامد : الذى يضع الطعام بين يديه ، ويأكل من بين يدى غيره !

من الأدب .. قبل الطعام وبعده

- **ومن الأدب** : أن يبدأ صاحب الطعام بغسل يده قبل الطعام : ثم يقول لجلسائه :

من شاء منكم فليغسل ..

فإذا غسل بعد الطعام : فليقدمهم ويتأخر .

* * *

الأدب فى إصلاح المعيشة

قالوا ...

- **ما قيل فى ثمرة العمل :**

قالوا : من أشبع أرضه عملاً أشبعت بيته خُبْزاً .

- **ما قيل فى إكرام الثوب :**

وقالوا : يقولُ الثوبُ لصاحبه : أَكرِمنى داخِلاً أُكرِمك خارجاً .

- **ما قيل فى عمل المرأة بيديها لصيانة عفتها وكرامتها :**

وقالت عائشة – رضى الله عنها – :

المغزلُ بيد المرأة أحسنُ من الرُّمح بيد المجاهد فى سبيل الله !

- **ما قيل فى الحرص على وجه الأرض :**

وقال عمر بن الخطاب : لا تنهكوا وجه الأرض ؛ فإن شحمها فى وجهها[1] .

---

(١) **الاليت** الذين كانوا « يجرفون » وجه الأرض قد استمعوا إلى قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قبل أن ينهكوا شحمها حتى فقدت وجهها !! وهل ينفع شيئا ليت ؟!!

- **ما قيل فى الوقاية :**

وقال : فرقوا بين المنايا ، واجعلوا رأس رأسين

- **ما قيل فى عرض الثياب عند الاتجار :**

وقال أبو بكر لغلام له كان يتجر بالثياب :

إذا كان الثوب سابغاً فانشرْه وأنت قائم وإذا كان قصيرا فانشره وأنت جالس ، وإنما البيع مِكَاسٌ[1] .

إصلاح ما فى اليد فيه حماية للدين :

وقال عبدالملك بن مروان : من كان فى يده شيء فليُصْلِحْه ، فإنه فى زمان إن احتاج فيه ، فأول ما يُبَدِّل دينُه .

* * *

(١) المكاس والمماكسة فى البيع الجباية . وما دام سيجبى مالا فلابد أن يحسن عرض الثوب ومن ذب العرض إذا كان الثوب طويلا وسابغا أن يعرضه وهو واقف حتى لا تصيبه الأرض . أما إذا كان قصير فلا مانع أن يعرضه جالسا لكن لابد من نشره فى الحالين ليتبين المشترى ما فيه . وليتنا نرعى ذلك فى مجال القطاع العام .



نعم .. للفضائل !!

أَقْبِل عَلَى النَّفْسِ واسْتَكْمِلْ فَضائِلَهَا

فأَنْتَ بالنَّفْسِ لَا بِالجِسْمِ إنسانُ





الفصل الأول

فى فضيلة العلم والحضّ على طلبه

لعلى بن أبى طالب :

وحدثنا أيوب بن سليمان **قال** : **حدثنا** عامر بن معاوية عن أحمد بن عمران الأخنس عن الوليد بن صالح الهاشمى ، عن عبدالله بن عبدالرحمن الكوفى عن أبى مخْنف ، عن كحيل النخعى ، قال : أخذ بيدى على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - فخرج بى إلى ناحية الجبانة[1] ، فلما أصْحَرَ تنفس الصُّعَداء[2] ثم قال : يا كحيل :

إن هذه القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها ، فاحفظ عنى ما أقول لك : الناس ثلاثة : عالم ، ومتعلم على سبيل نجاة[3] ، وهَمَجٌ رعاع ، أتباع كلِّ ناعق ، مع كل ريح يميلون ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق .

يا كحيل ، العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ومنفعة المال تزول بزواله[4] .

(١) **الجبانة الصحراء** - وأصحر دخل فى الصحراء . والعامة فى مصر يطلقون الجبانة على المقابر نظرا لأنها تحتل صحراء الخفير وما يشبهها من الخلاء بعيدا عن العمران .

(٢) **الصعداء** : تنفس ممدود . (٣) كلاهما على طريق النجاة ..

(٣) **الهمج** : ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجه الغنم والحمير وأعينها ويقال للرعاع الحمقى همج .

(٤) **ومثل هذا** ما قاله بعض الحكماء : =

يا كحيل ، محبة العلم دين يُدان به ، به يكسب الإنسان الطاعة فى حياته ، وجميل الأُحْدُوثة[1] بعد وفاته ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه

يا كحيل ، مات خُزَّان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم فى القلوب موجودة ، ها إن هاهنا لعلما جمًّا – وأشار بيده إلى صدره – لو وجدت له حَمَلَةَ ! .

بلى أجد لَقناً غير مأمون عليه ، يستعمله آلة للدنيا ، ويستظهر بحجج الله على أوليائه ، وبنعمه على عباده .

أو منقادًا لحملة الحق ولا بصيرة له فى أحنائه ، ينقدح الشك فى قلبه لأول عارض من شبهة ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء !

أو منهوما باللذة ؛ سلس القياد للشهوة .
أو مغرما بالجمع والادخار ، ليسا من رعاة الدين فى شىء .
أقرب شبها بهما الأنعام السائمة .

كذلك يموّت العلم بموت حامليه . اللهم بلى ، لا تخلو الأرض من قائم بحجة الله ، إما ظاهرا مشهورا ، أو خائفا مغروراً ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته ؛ وكم ذا ، وأين ؟

أولئك والله الأقلون عددا ، والأعظمون عند الله قدرا ، بهم يحفظ الله حججه حتى يودعوها نظراءهم ، ويزرعوها فى قلوب أشباهم ، هجم بهم العلم على حقيقة الإيمان ، حتى باشروا روح اليقين ، فاستلانوا ما استخشنه

= « بالعلم يمكنك أن تحصل على المال ، ولكنك بالمال لا تستطيع الحصول على علم » .
ربما يخطر بالبال أنك بالمال تستطيع نيل أكبر الشهادات لكن لم تحصل على العلم الحقيقى !!
(١) **الأحدوثة** : بوزن أُعجوبة ما يُتحدَّث به .

المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالرفيق الأعلى[١] .

ياكحيل ، أولئك خلفاء الله فى أرضه ، والدعاة إلى دينه . آه . آه . شوقا إليهم . انصرف إذا شئت .

أيهما أفضل . العلم أم المال ؟

- **قيل للخليل بن أحمد** : أيهما أفضل : العلم أو المال ؟

قال : العلم ، قيل له : فما بال العلماء يزدحمون على أبواب الملوك ، والملوك لا يزدحمون على أبواب العلماء ؟

قال : ذلك لمعرفة العلماء بحق الملوك ، وجهل الملوك بحق العلماء !!

العلم .. والعبادة !

- **وقال النبى ﷺ** : « **فضل العلم خير من فضل العبادة** » .

قليل العمل مع العلم ..

- **وقال عليه الصلاة والسلام** : « **إن قليل العمل مع العلم كثير ، كما أن كثيره مع الجهل قليل** » .

(١) **الرفيق الأعلى** : الأنبياء والشهداء والصالحون وحسن أولئك رفيقا .

حملة العلم

- **وقال عليه الصلاة والسلام : « يحمل هذا العلم من كل خلف عَدَلَةٌ ، ينفون عنه تحريف القائلين[1] ، وانتحال المبطلين[2] ، وتأويل الجاهلين »[3] .**

- **وقال الأحنف بن قيس :**

كاد العلماء أن يكونوا رسلاً ، وكل عز لم يؤكد بعلم فإلى ذل مايصير .

- **وقال أبو الأسود الدؤلى :**

الملوك حكام على الدنيا ، والعلماء حكام على الملوك .

- **وقال أبو قلابة** : مثل العلماء فى الأرض مثل النجوم فى السماء من تركها ضل ، ومن غابت عنه تحير .

- **وقال سفيان بن عيينة** : إنما العالم مثل السراج من جاءه اقتبس من علمه ، ولا ينقص شيئا ، كما لا ينقص القابس[4] من نور السراج شيئا .

- وفى بعض الأحاديث : « **إن الله لا يقتل نفس التقى العالم جوعا** » .

- **وقيل للحسن بن أبى الحسن البصرى :**

بم صارت الحرفة مقرونة مع العلم ، والثروة مقرونة مع الجهل ؟

---

(١) **التحريف** : التغيير .

(٢) **الانتحال** : ادعاء الشيء لنفسه وهو لغيره .

(٣) **أوَّلَ الكلام** : فسره وقدره .

(٤) **قبس النار والعلم** : أخذ واستمد .

فقال :

ليس كما قلتم ، ولكن طلبتم قليلا فى قليل فأعجزكم ، طلبتم المال وهو قليل ، فى أهل العلم وهم قليل ، ولو نظرتم إلى من احترف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾(فاطر: ٢٨) و ﴿ **وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ (العنكبوت : ٤٣)

- **وقيل** : لا تمنعوا العلم أهله فتظلموهم ، ولا تعطوه غير أهله فتظلموه .

- **ولبعضهم :**

من مَنَعَ الحِكمةَ أربابَها ... أصبحَ فى الحُكْمِ لهم ظالما
وواضعُ الحكمةِ فى غيرهم ... يكونُ فى الحُكمِ لها غاشما
سمعت يوما مثلا سائرا ... وكنت فى الشعر له ناظِماَ
لا خيرَ فى المرء إذا ما غدا ... لا طالباً علماً ولا عالماَ

- **وقيل لبعض العلماء** : كيف رأيت العلم ؟ قال : إذا اغتممت سلْوتى ، وإذا سَلَوْت لَذَّتى .

- **وأنشد لسابق البربرى :**

العلم زينٌ وتشريفٌ لِصَاحِبه ... والجهلُ والنَّوْك[1] مقرونان فى قَرن

- **ولغيره :**

وإذا طلبتَ العِلمَ فاعلم أنَّه ... حِملٌ فأبْصِر أىَّ شىْءٍ تَحْمِلُ

---

(١) النَّوك : بالفتح والضم الحمق . مقرونان فى قرن أى لا يفترقان ، وكما قيل : داء الحمق ليس له دواء !

وإذا علمتَ بأنّه متفاضِلٌ   فاشْغَل فؤادَك بالّذِى هو أفضل

- **الأصمعى قال :**

أولُ العِلْم : الصَّمتُ ، **والثانى** : الاستماعُ ، **والثالث** : الحِفظ ، **والرابع** : العمل ، **والخامس** : نشره .

- **ويقال** : العالم والمتعلم شريكان ، والباقى همج .

- **وأنشد :**

لا ينفع العلمُ قلباً قاسياً أبداً   ولا يلين لِفَكِّ الماضِغ الحجرُ[1]

- **وقال معاذ بن جبل :**

تعلموا العلم ؛ فإن تعلُّمه حسنة ، وطلبه عباده ، وبذله لأهله قربة ، والعلم منار سبيل أهل الجنة ، والأنيس فى الوحشة ، والصاحب فى الغربة ، والمحدث فى الخلوة والدليل على السرَّاء والضراء ، والزين عند الأخلاء ، والسلاح على الأعداء ، يرفع الله به قوما فيجعلهم قادة أئمة ، تقتفى آثارهم ، ويقتدى بفعالهم . والعلم حياة القلب من الجهل ، ومصباح الأبصار من الظلمة ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ بالعبد منازل الأخيار ، والدرجات العلا فى الدنيا والآخرة ، الفكر فيه يعدل الصيام ، ومذاكرته القيام ، وبه توصل الأرحام ، ويعرف الحلال من الحرام .

---

(١) كما لا يلين الحجر فى فك الماضع ولا ينتفع به الإنسان فكذلك القلوب القاسية لا تنتفع بالعلم إنها لا تلين للعلم وتتأبى عليه كما الحجر .

الحَضُّ على طلب العلم

من يظن أنه قد علم :

- **قال النبى ﷺ : لا يزال الرجلُ عالما ما طلب العلم ؛ فإذا ظَنَّ أنَّه قد علم ، فقد جَهل .**
- **وقال داود** لابنه سليمان عليهما السلام : **لُفَّ العلم حول عنقك ، واكتبه فى ألواح قلبك .**

هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟

- **وقيل** لأبى عمرو بن العلاء : هل يحسن بالشيخ أن يتعلم ؟

قال : إن كان يحسن به أن يعيش ؛ فإنه يحسن به أن يتعلم !

النظر فى الكتب :

- **وقال** (ملك الهند) **لولده** ، وكان له أربعون ولدا :

يابَنِىَّ ؛ أكثروا من النظر فى الكتب ، وازدادوا فى كل يوم حرفا ؛ فإن ثلاثة لا يستوحشون فى غُرْبة :

الفقيه العالم ، والبطل الشجاع ، والحلو اللسان الكثير مخارج الرأى .

• الجلوس فى الأسواق ومع مَنْ يكون ؟

وقال المهلب لبنيه : إياكم أن تجلسوا فى الأسواق إلا عند زَرَّادٍ[1] . أو وَرَّاق . (أراد الزرَّاد للحرب ، والورَّاق للعلم) .

نعم الأنيس كتاب

• وقال الشاعر :

نعم الأ: س إذا خلوت كتاب
تلهوبه إن خانك الأحباب
لا مُفْشِياً سِرًّا إذا استودعْتَه
وتُفَاد منه حكمةٌ وصوابٌ

ألذُّ نُزْهَةِ عَالِمٍ

• وقال آخر

ولكلِّ طالبِ لَذَّةٍ متنزَّهٌ وألذُّ نُزْهَةِ عالِمٍ فى كُتْبِه

(١) الزَّرَد : الدرع ، والزرَّاد : صانعها ، أما الورّاق ، فهو بائع الكتب .

أشهى أصناف العلم

● **وقال بعض الحكماء :**

اقصد من أصناف العلم إلى ما هو أشهى لنفسك ، وأخف على قلبك ، فإن نفاذك فيه على حسب شهوتك له ، وسهولته عليك .

فنون العلم

● **قال سهل بن هارون** وهو عند المأمون :

من أصناف العلم ما لا ينبغى للمسلمين أن ينظروا فيه ، وقد يُرغَبُ عن بعض العِلْم كما يُرْغَب عن بعض الحلال[١] .

فقال المأمون : قد يسمى بعض الناس الشىء علما وليس بعلم ، فإن كان هذا أردت فوجهه الذى ذكرت .

● **ولو قلت أيضا :** إن العلم لا يُدرك غورُه ، ولا يُسبَر قعرُه ، ولا تُبلَغ غايتُه ، ولا تُستَقْصَى أصولُه ، ولا تنضَبِطُ أجزاؤه ، صدقتَ ؛ فإن كان

---

(١) **كل علم** لا يسهم فى رقى الأمة وقوتها ونهضتها فلا جدوى من الاشتغال به وإن كان حلالا ، ويعد ترفا .

وإن كان هناك من لا يقول بالعلم للمجتمع .. بل يرى العلم للعلم أفاد منه المجتمع أو لم يفد .. وفى هذا إهدار للطاقات فى وقت عصيب تمر به الأمة . وفى إجابة المأمون بشقيها ما يغلق الباب فى وجه كل الفلسفات !!

الأمر كذلك فابدأ بالأهم فالأهم ، والأوكد فالأوكد ، وبالفرض قبل النفل ، يكن ذلك عدلا قصدا ، ومذهبا جميلا .

● **وقد قال بعض الحكماء :**

لست أطلب العلم طمعا فى غايته ، والوقوف على نهايته ولكن التماسَ مالا يسع جهله ، فهذا وجه لما ذكرت .

● **وقال آخرون :**

علوم الملوك : النَّسَبُ والخَبَر .
وعلم أصحاب الحروب : درس كُتُبِ الأيَّام والسِّيَر .
وعلم التجار : الكتاب والحساب .

فأما أن يسمى الشىء علما ويُنْهى عنه من غير أن يُسْأل عما هو أنفع منه ، فلا .

● **وقال محمد بن إدريس[1] – رضى الله عنه – :**

العلم علمان : علم الأبدان ، وعلم الأديان .

● **وقال عبدالله بن مسلم بن قتيبة[2] :**

من أراد أن يكون عالما فليطلب فنًّا واحداً ، ومن أراد أن يكون أديبا فليتفنن فى العلوم .

● **وقال أبو يوسف القاضى[3] :**

---

(١) **هو الإمام** محمد بن إدريس الشافعى (١٥٠ – ٢٠٤ هـ) أحد الأئمة الأربعة ومؤسس علم الأصول بكتابه الرسالة ، وله الأم فى الفقه . تاريخ بغداد (٥٦/٢ – ٧٣) .

(٢) **من أئمة اللغة** والأدب له : (الشعر والشعراء) و (أدب الكاتب) وغيرهما . توفى سنة ٢٧٦ هـ .

(٣) صاحب أبى حنيفة وكان قاضى القضاة وله كتاب « الخراج » .

ثلاثة لا يسلمون من ثلاثة :

من طلب الدين بالفلسفة لم يسلم من الزندقة ، ومن طلب المال بالكيماء لم يسلم من الفقر ، ومن طلب غرائب الحديث لم يسلم من الكذب .

● **وقال ابن سيرين[1] – رحمه الله تعالى :**

العلم أكثر من أن يُحاط به ؛ فخذوا من كل شىء أحسنه .

● **وقال ابن عباس** – رضى الله عنه – : كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع جهله ، وكفاك من علم الأدب أن تروى الشاهد والمثل .

● **وقال الشاعر :**

ومَا مِنْ كاتبٍ إلا ستبقى كتابتُه وإن فَنِيتْ يَداهْ
فلا تكتب بكفِّك غيرَ شىءٍ يسرُّك فى القيامةِ أن تَراهْ

● **وقال الأصمعى :**

وصلْت بالمُلَح ، ونلت بالغريب .

● **وقالوا** : من أكثر من النحو حمَّقه ، ومن أكثر من الشعر بذَّله ، ومن أكثر من الفقه شرفه .

● **وقال أبو نُواس الحسن بن هانىء[2] :**

كم من حديثٍ مُعْجِبٍ عِنْدى لَكَا لو قد نَبَذْتُ به إليكَ لَسَرَّكا

---

(١) **محمد بن سيرين** إمام وقته فى علوم الدين بالبصرة . تابعى من أشرف الكتاب ، اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا (٣٣ - ١١٠ هـ) .

(٢) **شاعر عباسى واسمه** : الحسن بن هانىء نشأ نشأته الأولى فى البصرة ثم تحول إلى الكوفة ليأخذ الشعر على والبة بن الحباب ثم تحول معه إلى بغداد ، وبرع فى الشعر حتى فاق أهل عصره . ويعد من أعظم شعراء العربية حيث أجاد فى كل فنون الشعر وأوفى على الغاية .

ثمّا تخيَّرهُ الرواةُ مُهَذبٍ   كالدُّرِّ مُنْتَظِماً بنحر فلكا
أَتَتبَّعُ العلماءَ أروى عنهمُ   كيما أُحَدِّثَ من لَقيتُ فيضحكا

* * *

شرائط العلم وما يصلُح له

١ – **قالوا :**

لا يكون العالم عالما حتى تكون فيه ثلاث خصال :

- لا يحتقر مَن دونَه !
- ولا يَحْسُدُ من فوقه !
- ولا يأخذ على العلم ثمنا !

٢ – **ودخل رجل على عبدالملك بن مروان** ، وكان لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده علما ، **فقال له** : أنَّى لك هذا ؟

فقال : لم أَمْنَعْ قَطُّ يا أمير المؤمنين علما أُفِيدُه ، ولم أحتقر علما أستفيده ، وكنت إذا لقيْت الرجلَ أخذت منه وأعطيته .

* * *

حفظ العلم واستعماله

- **قال عبدالله بن مسعود :**

تعلموا العلم ، فإذا علمتم فاعملوا

- **وقال مالك بن دينار :**

العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلب ، كما يزل الماء عن الصفا .

- **وقالوا :** لولا العمل لم يُطلب العلم ، ولولا العلم لم يُطلب العمل .
- **وقال الطائى :**

ولم يَحمدوا من عالمٍ غيرِ عامِلِ
ولم يحمدوا من عالمٍ غيرِ عامِلِ

- **وقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه :**

أيها الناس تعلموا كتاب الله تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله .

- **وقالوا :** الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .
- **وروى زياد عن مالك قال :**

كن عالما ، أو متعلما ، أو مستمعا ، وإياك والرابعة ؛ فإنها مهلكة ؛ ولا تكون عالما حتى تكون عاملا ، ولا تكون مؤمنا حتى تكون تقيا .

- **وقال أبو الحسن :** كان وكيع بن الجراح يتحفظ كل يوم ثلاثة أحاديث .
- **وكان الشعبى**[1] **والزهرى** يقولان : ما سمعنا حديثا قط وسألنا إعادته .

(١) **الشعبى** (١٩ ١٠٣ هـ) هو عامر بن شراحيل يضرب المثل بحفظه ، راوية من التابعين ، وهو من رجال حديث الثقات ، وكان فقيها شاعرا . الأعلام . تهذيب التهذيب .

تبجيل العلماء وتعظيمهم

زيد بن ثابت وابن عباس :

● **الشعبى قال** : ركب زيد بن ثابت ، فأخذ عبدالله بن عباس بركابه ، **فقال** : لا تفعل يا بن عم رسول الله ﷺ . **فقال** : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

قال زيد : أرنى يدك ، فلما أخرج يده قبلها ، **وقال** : هكذا أمرنا أن نفعل بابن عم نبينا !

● **وقالوا** : خدمة العالم عبادة .

● **وقال** على بن أبى طالب - رضوان الله عليه - من حق العالم عليك إذا أتيته ، أن تسلم عليه خاصة ، وعلى القوم عامة ، وتجلس قدامه ، ولا تشير بيدك ، ولا تغمز بعينك ؛ ولا تقول : قال فلان خلاف قولك ، ولا تأخذ بثوبه ، ولا تلح عليه فى السؤال ؛ فإنما هو بمنزلة النخلة المرطبة التى لا يزال يسقط عليك منها شيء .

● **وقالوا** : إذا جلست إلى العالم فسل تفقها ، ولا تسل تعنتا .

رفع العلم وقولهم فيه

● **قال** عبدالله بن مسعود : تعلموا العلم قبل أن يرفع .

● **وقال النبى ﷺ « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبضه بقبض العلماء »**

● **وقال** عبدالله بن عباس رضوان الله عليهما :

لما ووُرى زيدُ بن ثابت فى قبره : من سرَّه أن يرى كيف العلم ، فهكذا يقبض !

تحامل الجاهل على العالم

● **قال النبى ﷺ : « ويل لعالم أمرٍ من جاهله » .**

● **وقالوا** : « إذا أردت أن تُفحم عالما فأحْضِره جاهلا » .

● **وقالوا** : « لا تناظر جاهلا ولا لَجوجاً ، فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلى التعلم بغير شكر .

● **قال النبى ﷺ : « ارحموا عزيزا ذل . ارحموا غنيا افتقر ، ارحموا عالما ضاع بين جُهَّال » .**

● **وجاء كيسان** إلى **الخليل بن أحمد** يسأله عن شىء ؛ ففكر الخليل ليجيبه ، فلما استفتح الكلام **قال له** : لا أدرى ما تقول ! فأنشأ الخليل **يقول** :

لو كنتَ تعلم ما أقولُ عذرتنى ... أو كنتُ أجهلُ ما تقولُ عذلْتُكا[1]
لكّن جهلتَ مقالتى فعذلْتنى ... وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتكا

(١) **العاذل** : الكاره .. وه العذال والعواذل » الحاقدون الكارهون .

• قال حبيب :

وعاذل عذَلْتُه فى عَذْله ... فظن أَنِّى جاهلٌ من جِهْلِه

ما غَبَن المغبونَ مثلُ عقله ... من لك يوما بأخيك كُلِّهِ

الفصل الثانى

فى فضيلة الأدب وحب الولد

مع بعض الحكماء

أوصى بعض الحكماء بنيه فقال :

● الأدبُ أكملُ الجواهرِ[١] طبيعةً ، وأنفَسُها قيمةً يرفعُ الأحسابَ[٢] الوضيعة ، ويُفيدُ الرغائبَ[٣] الجليلة ويُعزّ بلا عَشيرة ، ويُكْثِر الأنصارَ بغيرِ رَزِيَّة[٤] فألْبسُوهُ حُلَّةً ، وتَزيّنوهُ حِلية يؤنِسْكُم فى الوحشة ويَجْمعْ لكم القلوبَ المختلفة .

مع الإمام على رضى الله عنه[٥]

ومن كلام الإمام على رضى الله عنه فيما يُرْوى عنه أنه قال :

● من حَلُم ساد .

● ومن سادَ استْفاد .

---

(١) **يقصد** أنه فى نفاسة الجوهر بل أكمل وأنفس وأغلى .

(٢) **والحسب** ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه وأجداده . ومن الناس من لهم من شرف الأصل ما يعتزون به .. أما أصحاب الأحساب الوضيعة فالأدب يرفعهم ويعوضهم ، ويتيح لهم أن يلحقوا بغيرهم .

(٣) **الرغائب** : جمع رغيبة ، وهى الأمر المرغوب فيه ؛ فهو يساعد على تحقيق الآمال العظيمة .

(٤) **الرزية** : المصيبة .

(٥) **على** بن أبى طالب ، رابع الخلفاء الراشدين ، كان عالما خطيبا شجاعا . قتله عبدالرحمن بن مُلجم سنة ٤٠ هـ .

- ومن استحيا حُرِم .
- ومن هابَ خاب .
- ومن طلب الرياسة صبَر على السياسة .
- ومن أبصرَ عيْبَ نفسه عَمِيَ عن عيبِ غيرِه .
- ومن سلَّ سيف البغى قُتِلَ به !
- ومن احتفرَ لأخيه بئراً وقع فيها .
- ومن نسيَ زلَّته استعظمَ زلَّةَ غيره .
- ومن هتك حجابَ غيره انْتُهِكت عوراتُ بيته .
- ومن كابر فى الأمور عَطِب[1] .
- ومن اقتحم اللُّجَج غرق[2] .
- ومن أُعجِبَ برأيه ضلَّ .
- ومن استغنى بعقله زَلّ .
- ومن تجبر على الناس ذَلَّ .
- ومن تعمق فى العمل مَلَّ .
- ومن صاحبَ الأنذالَ حُقِّر[3] .
- ومن جالسَ العلماء وُقِّر .
- ومن دخل مداخِل السوء اتُّهِم .
- ومن حَسُن خُلُقه سهُلَتْ له طُرقه .
- ومن حسن كلامُه كانت الهيبة أمامه .
- ومن خشى الله فاز .

---

(١) **عطب** : العطب الهلاك ، وكابره : عانده ، وغالبه على حقه .
(٢) **اللجج** : جمع لجة ، وهى معظم الماء ، والمقصود أنه يتعرض للمخاطر من لم يتمرس بمواجهتها .
(٣) **الأنذال** : جمع نذل : الخسيس السافل .. أراذل الناس .

- ومن استقاد الجهل ترك طريق العدل[1] .
- ومن عُرِفَ أجلُه ، قصُر أملُه .

ثم أنشأ يقول :

آلبَس أخاكَ على عيوبِهْ   واستُر وغطِّ على ذُنُوبِهْ
واصبِر على بهْتِ السفيــ   ـهِ وللزمانِ على خُطُوبِه[2]
ودَعِ الجوابَ تَفَضُّلاً   وكِلِ الظَّلومَ إلى حَسيبِهْ[3]

مع شبيب بن شيبة[4]

- وقال شبيب بن شيبة :

اطلبوا الأدب ، فإنه مادةُ العقل ، ودليلٌ على المروءة وصاحب فى الغُربة ، ومؤنسٌ فى الوَحشة ، وحلِيةٌ فى المجلس ، ويجمع لكم القلوب المختلفة .

---

(١) **استقاد الجهل** : جعل الجهل قائدا له يقوده ويتحكم فيه .
(٢) **بهته** : قال عليه ما لم يفعل .
(٣) **حسيبه** : الله الذى يحاسبه .
(٤) **شبيب** بن شيبة : أحد الخطباء البلغاء وهو من رهط خالد بن صفوان . البيان والتبيين للجاحظ .

مع عبدالملك بن مروان[1]

● **وقال عبدالملك بن مروان لبنيه :**

عليكم بطلبِ الأدب ؛ فإنكم إنِ احتَجتم إليه ، كان لكم مالا .

وإن استغْنيتُم عنه كان لكم جَمالا .

جاه المال وجاه الأدب

● **وقال بعض الحكماء :**

اعلم أن جاهاً بالمال إنما يصحبك ما صحبك المال ، وجاهاً بالأدب غير زائل عنك[2] .

---

(١) ثانى خلفاء بنى مروان ورابع بنى أمية ، وكان معدودا من الفقهاء ، وفى خلافته كتبت الدواوين بالعربية وضربت النقود الإسلامية ، ومدة خلافته إحدى وعشرون سنة . وتولى الحكم عام ٦٥ هـ ٦٨٤ م . وقد وصفه رجل من القرشيين وهو غلام فقال : إنه لآخذ بأربع ، وتارك لأربع :

آخذ : بأحسن الحديث إذا حدَّث ، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّث وبأيسر المئونة إذا خولف ، وبأحسن البشر إذا لقى .

وتارك : لمحادثة اللئيم ، ومنازعة اللجوج ، ومماراة السفيه ، ومصاحبة المأفون (والمأفون : ضعيف الرأى والعقل والمتمدح بما ليس عنده) .

(٢) **الجاه** : القدر والشرف وعلو المنزلة .

مع ابن المقفّع[1]

● **وقال ابن المقفع :**

إذا أكرمك الناسُ لجاهٍ أو لسلطان فلا يعجبْك ذلك ؛ فإن الكرامةَ تزولُ بزوالهما !!

مع الأحنف بن قيس[2]

ولكن لِيُعْجبك إذا أكرموك لدينٍ أو أدب .

● **وقال الأحْنَفُ بنُ قيس :**

● رأسُ الأدب المنطق .
● ولا خيرَ فى قولٍ إلا بفعل .
● ولا فى مالٍ إلا بجود .
● ولا فى صدق إلا بوفاء .
● ولا بفقه إلا بَورَع[3] .
● ولا فى صديق إلا بنية .

---

(١) **من كتاب** العصر العباسى ، وصاحب مدرسة فى النثر ، وله « كتاب الأدب الكبير » و « الأدب الصغير » وترجم إلى العربية « كليلة ودمنة » .

(٢) **الأحنف** بن قيس : اسمه الضحاك كان من سادات التابعين ومن الحلماء الحكماء توفى سنة ٦٧ هـ .

(٣) **الوَرَع** : الابتعاد عن الإثم والكف عن الشبهات والمعاصى . المنجد وللإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة – رحمه الله – كتاب فى الورع – المكتب السلفى .

حاجة الأديب

● **وقال مَصْقَلةُ الزُّبَيْرِى :**

لا يستغنى الأديب عن ثلاثة ، واثنين : فأما الثلاثة : فالبلاغة ، والفصاحة ، وحسن العبارة .

وأما الاثنان : فالعلم بالأثر ، والحفظ للخبر .

خير ما يورثه الآباء للأبناء

وقال بُزُرْجُمُهْر[1] :

ما ورَّثَ الآباءُ الأبناءَ شيئا خيراً من الأدب ، لأن بالأدب يَكسِبون المال ، وبالجهل يُتْلِفُونه !!

وقالوا :

● الحسبُ محتاج إلى الأدب .

● والمعرفة محتاجة إلى التجربة .

---

(١) **حكيم فارسى** . وقد يقال : بزرج مهر . وقد نكبه كسرى لقول الحق .

مع الفُضَيْل بن عياض [1]

وقال الفُضَيْل بن عياض :

رأسُ الأدبِ معرفةُ الرجُلِ قدرَه . .

وقالوا ..

- حُسنُ الخُلِق خيرُ قرين .
- والأدبُ خيرُ ميراث .
- والتوفيقُ خيرُ قائد .

معرفة النفس

- **وقال سفيان الثورى[2] :**

من عرف نفسه لم يَضرْه ما قال الناسُ فيه ..

أفضل الأشياء ..

- **وقال أنوشروان للموبَذ (وهو العالم بالفارسية)[3] :**

ما كان أفضل الأشياء ؟

---

(١) **الفضيل** بن عياض بن مسعود بن بشر التميمى . وعده صاحب طبقات الصوفية من الطبقة الأولى .

(٢) **كان** إماما مجتهدا ورعا ؛ طلبه المهدى للقضاء فأبى وتوفى وهو متوارٍ سنة ١٦١ هـ .

(٣) **ويقول صاحب فجر الإسلام** : هو القاضى وموبذ الموبذان : قاضى القضاة .

فقال :

- الطبيعة النقية تكتفى من الأدب بالرائحة ومن العلم بالإشارة .
- وكما يموت البَذر فى السباخ ، كذلك تموت الحكمة بموت الطبيعة !

قال له : قد صدقت ، ونحن لهذا قلدناك ما قلدناك .

الأدب أم الطبيعة ؟!

- **وقيل لأردشير :** الأدبُ أغلب أم الطبيعة ؟

فقال : الأدبُ زيادةٌ فى العقل ، ومَنْبهَةٌ للرأى ، ومكسبةٌ للصواب .

والطبيعةُ أمْلَك ؛ لأن بها الاعتقاد ، ونماء الفراسة وتمام الغذاء .

أى شيء أعون للعقل ؟!

- **وقيل لبعض الحكماء :**

أىُّ شيءٍ أعونُ للعقل بعد الطبيعة المولودة ؟

قال : أدبٌ مكتسَب .

- **وقالوا :** الأدب أدبان :

★ أدب الغريزة وهو الأصل .

- وأدب الرواية وهو الفرع .

ولا يتفرع شيء إلا عن أصله ، ولا يَنْمى الأصل إلا باتصال المادة .

• وقال الشاعر :

ولم أرَ فرعاً طال إلا بأصلِه

ولم أرَ بدءَ العِلْم إلا تَعَلُّما

• وقال الشاعر :

وما السيفُ إلا زُبْرةٌ[1] لو تركتَه

على الحَالة الأولى لما كان يقطعُ

• وقال آخر :

ما وهبَ اللهُ لا مرِىءٍ هِبَه

أفضلَ من عقلِه ومن أَدَبِهْ

هما حياةُ الفتى فإن فُقِدا

فإنَّ فقدَ الحياةِ أحسنُ بِــه

علم الدين وعلم الأدب

وقال ابن عباس[2] :

كفَاكَ مِن عِلْم الدين أن تعرفَ ما لا يسَعُك جهلُه .

وكفَاكَ مِن عِلم الأدبِ أن تَرْوىَ الشاهدَ والمِثَال .

---

(١) **الزُّبْرَة** : القطعة من الحديد جمعها زُبَر مثل غرفة وغرف وفى القرآن فى قصة ذى القرنين ﴿ آتونى زبر الحديد ﴾ ليقيم لهم سدًّا .

(٢) **ابن عباس** : هو عبدالله الهاشمى من فقهاء الصحابة ومحدثيهم .

ماذا يفعل من يريد أن يكون أديبا ؟

قال ابن قتيبة[1] :

إذا أردت أن تكون أديبا فتفنَّن فى العلوم .

صلاح الأهل بصلاح الرجل

- **وقالت الحكماء :**

إذا كان الرجل طاهرَ الأثواب ، كثيرَ الآداب ، حسنَ المذهب تأدب بأدبِه ، وصَلُحَ لصلاحِه جميعُ أهلِه وولدِه .

- **وقال الشاعر :**

رأيتُ صلاحَ المرءِ يُصْلِحُ أهلَهُ
ويُفْسِدُهم ربُّ الفسادِ إذا فَسَدْ
يُعَظَّم فى الدُّنيا لفضلِ صلاحِه
ويُحْفَظُ بعد الموتِ فى الأهلِ والولَدْ

أى الخصال أحمد عاقبة ؟!

- **وسئل ديو جانس**[2] : أىَّ الخصالِ أَحمدُ عاقبةً ؟

(١) **ابن قتيبة** : مُحدِّثٌ شهير ، ومؤرخ كبير ، ومن مؤلفاته الشعر والشعراء ، المعارف ، الإمامة والسياسة .

(٢) **ديوجانس** : حكيم يونانى .

قال :

- الإيمانُ بالله عزَّ وجل .
- وبرُّ الوالـــدين .
- ومَحَبَّةُ العلمـــاء .
- وقبـــولُ الأدب .

من لا أدبَ لـــه

- **وروى** عن رسول الله ﷺ **أنه قال :**

« من لا أدبَ له ، لا عقل له »!!

أثر الأدب فى حياة صاحبه

وقالوا :

« الأدب يزيد العقل فضلا ونباهةً »

« ويُفيدُه رقةً وظَـــرْفاً »

* * *

حُبّ الولد

ما تقول يا أحنف فى الولد ؟!

● **أرسل معاويةُ إلى الأحنف[1] بن قيس فقال** : يا أبا بحر ، ما تقول فى الولد ؟

قال : ثِمارُ قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة ؛ فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأَرْضِهم ؛ يَمنحوك ودَّهُم ، ويُحبُّوك جُهدَهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً فيَمَلُّوا حياتك ، ويُحِبُّوا وفاتك .

فقال : للهِ أنت يا أحنف !

لقد دخلت عَلَىَّ وإنى لمملوءٌ غضبا على يزيد فسللته من قلبى ، **فلما خرج** الأحنف من عنده بعث معاوية إلى يزيد بمائتى ألف درهم ، ومائتى ثوب !

فبعث يزيدُ إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب ، **شاطره إياها** .

لماذا يلومونه ؟!

● **وكان عبدالله بن عمر** يذهب بولده سالم كل مذهب حتى لامه الناس فيه ، **فقال** :

يلومونني فى سالمٍ وألومُهم   وجِلدَةُ بينَ العين والأنفِ سالمُ

(١) الأحنف ضرب به المثل فى الحلم والسيادة ومعاوية ضرب به المثل فى الحكمة والسياسة فهو القائل « لو كان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت لأنهم إذا شدوا أرخيت وإذا أرخوا شددت » .

● **وقال** : إن ابنى سالما ليُحبُّ الله حُبًّا لو لم يخفه لم يعصه .

يحيى بن اليمان وولده داود

● **وكان يحيى بن اليمان** يذهب بولده داود كل مذهب ، حتى **قال يوما** :
أئمة الحديث أربعة :

كـان عبدالله ، ثـم كـان علقمة
ثم كـان إبراهيم ، ثم أنـت يا داود

وقال : تزوجت أم داود ، فما كان عندنا شي ألفه فيه ، حتى اشتريت له كُسوةَ بدانق[1] .

خير الآباء وخير الأبناء !!

● **وقال** زيد بن علي لابنه[2] : يا بنى ، إن الله لم يرضك لى فأوصاك بى ، ورضينى لك فحذَّرَنيك .

واعلم أن **خير الآباء** للأبناء من لَمْ يدْعُه الحبُّ إلى التفريط ، وخيرَ الأبناءَ للآباء من لم يدْعُهُ التقصير إلى العقوق .

وفى الحديث المرفوع : « ريح الولد من ريح الجنة »

وفيه أيضا : « الأولاد من ريحان الله » .

---

(١) **الدانق** : معرَّب وهو سُدُس درهم عند اليونان . وهو حبّتا خرنوب ، لأن الدرهم عندهم اثنتا عشرة حبة . أما الدرهم الإسلامى فهو ست عشرة حبة فالدانق حبتا خرنوب وثلثا حبة . المصباح

(٢) **زيد بن على** زين العابدين : طلب الخلافة بالعراق فى خلافة هشام فقتل وصلب سنة ١٢٥ هـ .

الاعتضـــاد بالولـــد

دعاء زكريا عليه السلام فى الولد

• **قال الله تبارك وتعالى** فيما حكاه عن عبده زكريا ودعائه إليه فى **الولد** :

﴿ وزَكريَّا إذْ نادى ربَّه ربِّ لا تَذَرْنى فرداً وأنت خيرُ الوارثين ﴾

[الأنبياء : ٨٩]

• **وقال** : ﴿ وإنى خفتُ الموالِىَ من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوبَ واجعله ربّ رضِيًّا ﴾ [سورة مريم – الآية ٥] . (والموالى ها هنا : بنو العم)

إن الذليل الذى ليست له عضد[١]

• **وقال الشاعـــر** :

من كان ذا عَضُدٍ يُدركْ ظُلامَتَه
إن الذليلَ الذى ليست له عَضُدُ
تنْبو يَداه إذا ما قَلَّ ناصرُه
ويأنَفُ الضيمَ إن أثْرى لَهُ عَضُدُ

---

(١) **العضد** : غليظ الذراع من المرفق إلى الكتف ، وعضدُ كلِّ شيءٍ ما شُدّ حواليه من البناء . والمقصود هنا الولد والأهل والناصر والمعين .

والظُّلامة والمظلمة : ما يحتمله الإنسان من ظلم أو ما يؤخذ منه ظلما . =

ماذا يقول من ليس له ولد ؟

● العتبى[1] قال :

لما أسَنَّ أبو براء عامر بن مالك ، وضعفه بنو أخيه وخرفوه ، ولم يكن له ولد يحميه ، أنشأ يقول :

دفَعْتُكُمُ عنى ، وما دفع راحةٍ
بشيءٍ، إذا لم تستعن بالأنامِـلِ
يضَعِّفنى حِلْمى وكثرةُ جهلِكُم
عَلَىَّ وأنّى لا أصولُ بجاهلِ

● وقال آخر :

تعدو الذئابُ على من لا كلابَ له
وتَتَّقِى سورةَ المستِفر الحامى.[2]

* * *

= وتنبو يداه : تكل وترتد ولم تقطع . والضيم : الذل . وأثرى عضده : كثر ناصروه .

(١) هو محمد بن عبيدالله من ولد عتبة بن أبى سفيان بن حرب والأغلب عليه الأخبار ، وأكثر أخباره عن بنى أمية وأيامهم . وكان شاعرا ، ومات سنة ثمان وعشرين ومائتين . المعارف لابن قتيبة .

(٢) سورة السلطان : حدّته وسَطوته وشدته . والمستنفر الذى يطلب من قومه أن ينفروا خفافا وثقالا ، تماما مثل الحامى والراعى الذى لديه من الكلاب ما يؤمن غنمه ويحميها عدوان الذئاب ؛ فالذئاب تتقى مثل هذا الذى لديه كلاب يستنفرها فتتابع الذئاب الجائعة وتلاحقها !! .

موت الولد

● **وقال عبيد الله بن أبى بكرة :**

موتُ الولدِ صدعٌ فى الكبِد لا ينجبر إلى آخر الأبد

ما هذا منك ؟!

● **ونظر عمر بن الخطاب** إلى رجل يحمل طفلا على عنقه ، **فقال :**

ما هذا منك ؟

قال : ابنى يا أمير المؤمنين .

قال : أما إنه إن عاش فتنك ! وإن ماتَ حزَنَك !

ترقيص الأولاد والغناء لهم !!

● **وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ترقص الحسين بن على رضى الله عنهما وتقول :**

وا بأبى شبهُ النبِى ليس شبيهاً بِعَلِى[1]

---

(١) ويروى الدكتور **أحمد عيسى** فى كتابه الغناء للأطفال عند العرب نقلا عن إحدى نسخ العقد الفريد جـ ١ ص ٢٧٨ البيت هكذا :

إنَّ بُنَىْ شِبْهُ النَّبِىْ ليس شبيهــاً بِعَلِىّ

وفى الرواية معنا وا بأبى .. وا للندبة لكنها هنا للدهشة والتعجب . أما الرواية الثانية فَبُنَىْ بالتخفيف لضرورة وزن الشعر وكذلك « بِعَلِىْ » .

• **وكان الزُّبَيْر يرقِّصُ عُرْوَةَ ويقول :**

أبيضُ من آلِ أبى عتيق ... مباركٌ من وَلَدِ الصِّدِّيق[1]

أَلَذُّه كما أَلَذُّ ريقى

• **وقال أعرابى وهو يرقص وَلَده :**

أعرف منه قِلَّة النُّعاسِ ... وخِفَّةً من رأسِه فى راسى

• **وكان** رجل من طيِّىء يقطع الطريق ، فمات وترك بُنَيًّا رضيعا فجعلت أمه ترقِّصه وتقول :

يا ليتَه قد قَطَع الطريقا ... ولم يُرد فى أمرِه رفيقَا

وقد أخافُ الفَجَّ والمضيقا[2] ... فقَلَّ أن كان به شفيقَا

الحب المفرط وإهمال التأديب

• **وقال عبدالملك :**

أضَرَّ بنا فى الوليد حُبُّنا له ؛ فلم نؤدِّبْه ، وكأَنَّ الوليدَ أدَّبنا !! .

والسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ وأمها خديجة بنت خويلد ولدتها وقريش تبنى البيت (الكعبة) وذلك قبل النبوة بخمس سنين . وهى صغرى بنات الرسول ﷺ سنا .

(١) **تزوج الزبير** أسماء بنت أبى بكر الصديق . وقد نقل الدكتور أحمد عيسى **فى كتابه الغناء** للأطفال عند العرب المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٣٦ عن العقد الفريد جـ ١ ص ٢٧٨ ط بولاق والبيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص ١٠٠ عن لسان العرب مادة لذ أنه قيل فى ترقيص ابنه عبدالله وعن العقد الفريد فى أخيه عروة . وجاء فى كتاب الدرارى فى الذرارى لابن العديم الحلبى ص ٣٥ : « أزهر من آل أبى عتيق » والأزهر من الرجال : الأبيض العتيق البياض النيِّر . وهو أحسن البياض كأن له بريقا ونُورا يزهر كما يزهر النجم والسراج والزُّهرة : البياض . « **أبى عتيق** » لقب أبى بكر الصديق . قيل لقب به لجماله . **ألذه** : أحس بنعمة وكفاية ويخلونى أن أشاهد طلعته البهية .

(٢) **الفج** : الطريق الواسع فى الجبل ، والمضيق : ما ضاق من الأماكن .

● **وقال هارون الرشيد لابنه المعتصم :**

ما فعل وصيفك[1] فلان ؟

قال : مات فاستراح من الكتاب !

قال : وبلغَ منك الكتاب هذا المبلغ ؟ والله لا حضرته أبدا ووجّهه إلى البادية فتعلَّم الفصاحة – وكان أميا – وهو المعروف « بابن ماردة » .

● **إبراهيم عليه السلام وملك الموت :**

وفى بعض الحديث أن إبراهيم خليل الرحمن كان من أغْيرِ الناس ، فلما حضرته الوفاة دخل عليه ملك الموت فى صورة رجل أنكره ، **فقال له** :

من أدخلك دارى ؟

قال : الذى أسكنك فيها منذ كذا وكذا سنة .

قال : ومَنْ أنت ؟

قال : أنا مَلَك الموت ، جئت لقبض روحك !

قال : أتاركى حتى أودع ابنى إسحاق ؟

قال : نعم .

فأرسل إلى إسحاق ، فلما أتاه أخبره ، فتعلق إسحق بأبيه ، وجعل ينقطع عليه بكاء ، فخرج عنهما ملك الموت ، وقال :

يارب إسحاق متعلق بخليلك !

فقال له الله : قل له إنى قد أمهلتك . وفعل ، وانحل إسحاق عن أبيه ، ودخل إبراهيم بيتا ينام فيه ، فقبض ملك الموت روحه وهو نائم[2] .

(١) **الوصيف** : الغلام دون المراهق .

(٢) قد علمنا القرآن الكريم أنه ﴿ إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ وهى وإن كانت تصور الحب والحنان المتبادلين بين أبى الأنبياء وابن له إلا أنها بالإسرائيليات أشبه !!

فى تأديب الصغير

قال :

● قال الحكماء : من أدَّب ولده صغيرا سُرَّ به كبيراً .

● وقالوا : أطبع الطين ما كان رطباً[1] .

وأغمز العود ما كان لدناً[2] .

● وقالوا : من أدَّب ولَدَه غمَّ حاسدَه !

● وقال ابن عباس :

من لم يَجْلِسْ فى الصِّغَر حيث يكره ، لم يجلس فى الكبر حيث يُحبّ !

● قال الشاعر :

إذا المرءُ أعْيتْهُ المُرُءَةُ ناشئاً
فمَطْلُبُها - كهلا - عليه شديدُ

● وقالوا :

ما أشدَّ فطام الكبير[3] ، وأعْسَرَ رياضة الهرم !!

---

(١) وقد قالوا : التعليم فى الصغرِ كالنقش على الحجر . لا تمحوه الأيام .

(٢) غمز العود : جسه وكبسه باليد واختبره . واللدن الطرى اللين .

(٣) وشبيه به قول البوصيرى :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم !

● **قال الشاعر :**

وتَرُوض عِرْسَكَ بعدما هَرِمَت

ومن العناءِ رياضةُ الهرمِ[1]

وقال النبى ﷺ لما بُشِّر بفاطمة : ريحانـةٌ أشُمُّها ورزقها على الله .

عمرو بن العاص ومعاوية[2] :

● **ودخل عمرو بن العاص** على معاوية وبين يديه بنته عائشة

فقال : من هذه ؟

فقال : هذه تفاحة القلب !

فقال له : انبذها عنك ، فوالله إنهن ليلدن الأعداء ويقربن البعداء ، ويورثن الضغائن .

قال : لا تقل ذلك يا عمرو ؛ فوالله ما مرَّض المرضى ، ولا ندب الموتى ، ولا أعان على الأحزان مثلهن .

ورُبَّ ابنِ أختٍ قد نفع خاله .

---

(١) **ورياضة الهرم :** معالجته ومحاولة إصلاحه بعد ما شاب ، والناس قد ألفوا أن يسوسوا الحيوانات ويروضوها فى صغرها لتنشأ على ما يحبون . وهناك مدرب للوحوش ، وسائس للخيل والفيلة !!

وقد قالت العرب : إن العوان لا تُعَلَّم الخِمْرة . والعوان المرأة فى منتصف عمرها . والخِمرة بكسر الخاء . تغطية المرأة رأسها بالخِمار . فالمفروض أنها تجيد ذلك ووصلت إلى سن إذا لم تكن فيه على علم فلا جدوى من تعليمها ، أما البكر فهى فى مرحلة التعليم .

وقد قال الشاعر مستنكرا ما يتعرض له من تأديب فى الكبر :

أضحى يمزق أثوابى يؤدبنى أبعد شيبى يبغى عندى الأدبا ؟!!

(٢) **عمرو بن العاص :** من قواد الصحابة المعدودين فتح مصر ووليها لعمر ومعاوية ، وبها مات . أما معاوية بن أبى سفيان ، فهو أول خلفاء بنى أمية من سنة ٤٠ إلى ٦٠ هـ .

لحطان بن المعلَّى :

● وقال حطَّانُ بن المعَلَّى الطائى[1] :

لولا بُنَيَّاتٌ كزغبِ القطا رُدِدْن من بعضٍ إلى بعض[2]
لكانَ لِى مُضْطَربٌ واسعٌ فى الأرضِ ذاتِ الطُّولِ والعَرْضِ[3]
وإنما أولادُنا بيننا أكبادُنا تمشى على الأرض[4]

مع ما يجرعنى أعز الأنفس !!

● كتب شُريح[5] إلى معلِّم وَلِده :

ترك الصلاة لأكْلُبٍ يَسْعَى بها
يبغى الهِراشَ مع الغُوَاةِ الرُّجَّسَ
فليأتيـنَّك غدوة بصحيفـةٍ
كُتِبَتْ له كصحيفة المتَلَمِّسِ

---

(١) **حِطَّان** : شاعر إسلامى .

(٢) **بُنيات** : تصغير بنات . والزغب الشعر اللين الصغير ، وكنى به عن الضعف والصغر . ومعنى قوله : رُددن من بعض إلى بعض . أى تتابعن وكثرن كل واحدة منهن بجانب الأخرى – والمعنى : لولا بنيات لى صغيرات كفراخ القطا التى عليها الزغب لصغرهن اجتمعن لى فى مدة يسيرة فمن ثانية بعد أولى ، وواحدة إلى جانب أخرى .

(٣) **المضْطرب** : الاضطراب والحركة . يقول : لولا خوفى من ضياعهن لكان لى مجال واسع فى الأرض وإنما لزمت مكانى بسببهن .

(٤) **تمشى** على الأرض جملة فى موضع الحال للأولاد – وبيننا ظرف لتمشى . والتقدير : أولادنا وهى ماشية على الأرض أكبادنا . (ديوان الحماسة لأبى تمام . من شرح العلامة التبريزى) ط مطبعة السعادة ١٩١٣ م .

(٥) **شُرَيْح** : بالتصغير ، هو ابن الحارث الكندى ، من كبار التابعين ، وُلِّى القضاء لعمر بالكوفة ، وتوفى سنة ٨٧ هـ .

فإذا أتاك فعضَّه بملامـةٍ

أو عِظْه موعظةَ الأديبِ الكيِّس

فإذا هَمَمْتَ بضربِه فبِدِرّةٍ

وإذا بلغْت ثلاثة لك فاحبِسِ

واعلَمْ بأنك ما أتيت فنفْسُه

مع ما يُجرِّعُنِى أعزُّ الأنفُس !

.. الشيخ لا يترك أخلاقه !!

● وقال صالح بن عبد القُدُّوس[١] :

وإن من أدَّبته فى الصِّبا ... كالعود يُسْقى الماءَ فى غرسِه

حتى تراه مورقا ناضرا ... بعد الذى أبصرت من يُبْسِه

والشيخُ لا يتْرُكُ أخلاقه ... حتى يُوارى فى ثرى رَمْسِه[٢]

إذا ارعوى عادَ لَهُ جهلـه ... كذى الضَّنَى عاد إلى نُكسه

ما تبلغ الأعداء من جاهلٍ ... ما يبلغُ الجاهلُ من نفسه !

(١) صالح بن عبد القدوس : كان شاعرا من شعراء الحكمة . وقالوا لو وزع شعر حكمته على القصائد العربية لزانها . ولكن القصيدة إذا كانت كلها أمثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر . البيان والتبيين جـ ١ ص ١٥٠ .

(٢) الرمس القبر . والثرى التراب المبلل بالندى أو الرضب .

على المعلم أن يصلح نفسه أولا

- وقال عمرو بن عتبة لمعلم ولده :

- **ليكن** أولَ إصلاحِك لولدى إصلاحُك لنفِسك ؛ فإن عيونَهم معقودةٌ بعينك ، فالحسَنُ عندهم ما صنعت والقَبيح عندهم ما تركت !
- **عَلِّمْهم** كتابَ الله ، ولا تُكْرِهْهُم عليه فيَمَلُّوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه .
- **رَوِّهم** من الحديثِ أشرفَه ، ومن الشِّعْر أعفَّه .
- **ولا تَنْقُلْهم** من عِلْم إلى عِلْم حتى يُحْكِموه ؛ فإن ازدحامَ الكلام مَشْغَلَةٌ للفهم .
- **وعلِّمهم** سُنَن الحكماء .
- **وجَنِّبْهم** محادثَة النِّساء .
- **ولا تَتَّكِلْ** على عُذْرٍ منى لك ؛ فقد اتكلتُ على كفايةٍ منك .

الفصل الثالث

اتخاذ الإخوان وما يجب لهم

خير مكاسب الدنيا

قال شبيب بن شيبة : إخوان الصَّفاءِ خير مكاسب الدنيا .. هم زينة فى الرخاء ، وعُدّةٌ فى البلاء ، ومعونةٌ على الأعداء .

خير الإخوان :

وقال الأحنف بن قيس[1] :

خير الإخوان :

- إن استغنيت عنه لم يزدك فى المودة .
- وإن احتجت إليه لم ينْقُصْك منها .
- وإن كوثِرت عضدك[2] .
- وإن استرفدت رفدك[3] .

وأنشـــد :

اخوك الذى إن تدعه لِمُلِمَةٍ

يَجِبْك وإن تغضبْ إلى السيفِ يغْضبِ

---

(١) **الأحنف** بن قيس بن معاوية بن الحصين التميمى السعدى ، أبو بحر البصرى (تهذيب ١٩١.١) .

(٢) **كاثره** : غلبه بالكثرة . فهو يعضده ويسانده ويقف إلى جانبه عندما يواجه كثرة غالبة . عضدك : أعانك ونصرك .

(٣) **استرفدت** : طلبت الرِّفد والعطاء . **رفدك** : أعطاك ومنحك وأعانك .

داود وسليمان عليهما السلام

● **روى الأوزاعى**[1] عن يحيى بن أبى كثير . أن داود قال لابنه سليمان – عليهما السلام

يابنى ، **لا تستقِلّ** عدوًا واحدا ، **ولا تستكثر** ألف صديق ، **ولا تستبدل** بأخ قديم أخاً مستحدثا ما استقام لك .

● **وفى الحديث المرفوع :**

« المرء قليل بنفسه كثير بأخيه »

● **وقال شبيب بن أبى شيبة :**

إخوانُ الصَّفاء خيرٌ من مكاسب الدنيا ، هم زينةٌ فى الرخاء ، وعُدَّةٌ فى البلاء ، ومعونة على الأعداء !

● **وأنشد ابن الأعرابى :**

لعمْرك ما مالُ الفتى بذخيرةٍ ولكن إخوان الصِفاءِ الذَخائرْ

---

(١) **الأوزاعى** عبدالرحمن بن عمرو من « الأوزاع » وهم بطن من « همدان » وقال الواقدى : كان يسكن « بيروت » وعقبه باليمامة ؛ فلذلك سمع من « يحيى بن أبى كثير » ومات ببيروت سنة سبع وخمسين ومائة وهو يومئذ ابن اثنتين وسبعين سنة . المعارف لابن قتيبة ص ٤٩٧ .

• ولآخـر :

أخاكَ أخاكَ ؛ إن مَنْ لا أخاله ... كساعٍ إلى الهَيْجا بغيرِ سلاحِ
وإن ابنَ عَمِّ المرءِ -فاعلم- جناحُه ... وهل ينهضُ البازى بغير جناح ؟؟

ما يجب على الصديق للصديق

• **ومما يجب للصديق على صديقه** : النصيحة جهده ؛ **فقد قالوا** : صديقُ الرَّجُلِ مرآته ، تُريهِ حسناتِه وسيآته .

• **وقالوا** :

« الصَّدِيقُ من صدَقك وُدَّه ، وبذل لك رِفْدَه »

• **وقالوا** :

خير الإخوانِ من أقبل عليك ، إذا أدبرَ الزمانُ عنك .

• **وقال الشاعر**[1] :

فإن أولى الموالى أن تُواليهُ ... عند السرور لمن واساك فى الحزنِ
إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم فى المنزل الخشِنِ

(١) هو أبو تمام .

لبعض الوُلاة فى الأصدقاء

● **وقيل لبعض الولاة :**

كم صديقا لك ؟ قال : لا أدرى ؛ الدنيا مقبلةٌ علىّ والناسُ كلُّهم أصدقائى .

وإنما أعرف ذلك إذا أدبرت عنى الدنيا !!

المنصور ورجل من إخوانه

● ولما صارت الخلافة إلى **المنصور** كتب إليه رجل من إخوانه كتابا فيه هذه الأبيات :

إنّـــا بطانـــتُك الأُلى كُنّا نكابِدُ ما تُكابِـــدُ
ونُرى فنُعـرفُ بالعـــدا وةِ والبِعادِ لمن تُباعِدْ
ونبيت من شفق عليـــ ـــك ربيئة والليلُ هاجد[1]

فلما وصلت الأبيات إلى أبى جعفر وقع على كل بيت منها :

صدقت .

ودعا به فألحقه بإخوانه

---

(١) **الربيئة** : طليعة الجيش الكاشفة المراقبة للعدو ، أما أبو جعفر فهو : أبو جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين ، تولى الخلافة سنة ١٣٦ هـ (٧٥٤ م) ويعتبر ممن أرسوا قواعد الدولة وثبتوها بحزمهم ، وقوة شخصيتهم ، كما يعد من الخلفاء العباسيين الذين عنوا بتدوين العلوم وترجمتها توفى سنة (١٥٨ هـ – ٧٧٥ م) . جمهرة خطب العرب ، طبعة الحلبى سنة ١٩٣٣ ص ٢٦ .

معاتبة الصديق واستبقاء مَودّته

● **قالت الحكماء :**

مما يجب للصديق على الصديق :

.. الإغضاء عن زلّاتِه ، والتجاوز عن سيئاته ؛ فإن رجع وأعتَبَ ، وإلا عاتبته بلا إكثار ؛ فإن كثرة العتاب مَدْرجة للقطيعة .

● **وقال عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه :**

لا تقطع أخاك على ارتياب[١]
ولا تهجره دون استعتاب

● **وقال أبو الدرداء**[٢] : من لك بأخيك كُلّه ؟!

● **وقالوا : أىّ الرجالِ المهذب ؟!**

● **وقال بشارٌ العُقَيْلِىّ :**

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت ، وأىّ الناس تصفو مشاربه

● **وقالوا** : معاتبة الأخ خير من فقده .

---

(١) **لا يكفى** الشك مبررا للقطيعة ، والاستعتاب المصالحة والترضية .

(٢) **أبو الدرداء** هو عويمر بن مالك ويقال : عويمر بن زيد . ويقال : عويمر بن عامر من بلحارث بن الخزرج . وكان آخر أهل داره إسلاما ، وكان قبل إسلامه تاجرا ، ومات بالشام سنة اثنتين وثلاثين ، وعقبه بالشام . المعارف لابن قتيبة ص ١٥/٢٦٨ .

• وقال الشاعر :

إذا ذهب العتابُ فليس وُدٌّ ويبقى الوُدُّ ما بقى العتاب

• ولمحمد بن أبان :

إذا أنا لم أصبِر على الذَّنب من أخٍ
وكنتُ أجازيه ، فأين التفاضُل ؟
إذا ما دهانى مِفْصلٌ فقطعته
بقيت وما للنهوض مفاصل
ولكن أداويه ، فإن صحّ سرّنى
وإن هو أعيا كان فيه تحامل

• وقال الأحنف : من حق الصديق أن يتحمل ثلاثا :

ظُلْم الغَضب ، وظُلْم الدّالّة ، وظُلْم الهفوة !!

• لعبد الله بن معاوية[1] :

ولست ببادى صاحبى بقطيعة
ولست بِمُفْشٍ سرّه حين يغضب
عليك بإخوان الثقات فإنهم
قليل ؛ فصِلْهم دون من كنت تصحبُ
وما الخِدْنُ إلا من صفالك وُدُّه
ومن هو ذا نُصحٍ وأنت مُغيَّب

---

(١) عبد الله بن معاوية . طلب الخلافة ، وظهر بأصبهان وبعض فارس ، فقتله أبومسلم . ولا عقب له . المعارف لابن قتيبة .

فضل الصداقة على القرابة

- **قيل لبزرجمهر**[1] : من أحبُّ إليك : أخوك أم صديقك ؟

فقال : ما أحب أخى إلا إذا كان لى صديقا .

- **وقال أكثم بن صيفى** :

القرابة تحتاج إلى مودة ، والمودة لا تحتاج إلى قرابة .

- **وقال عبدالله بن عباس** :

القرابة تقطع ، والمعروف يكفر ، وما رايت كتقارب القلوب .

- **وقالوا** : إياكم ومن تكرهه قلوبكم ؛ فإن القلوب تجازى القلوب .

- **وقال عبد الله بن طاهر الخُراسانى**[2] :

أميلُ مع الرِّفاقِ على ابن أمى
وأحمِلُ للصديق على الشقيق

وإن ألفيتنى مِلكا مطاعا
فإنك واجدى عبدَ الصديق

أفرِّق بين معروفى ومَنِّى
وأجمع بين مالى والحقوق

---

(١) بُزُرْ جُمْهر بن البختكان : حكيم فارسى مشهور نكبه كسرى لقول الحق .

(٢) عبد الله بن طاهر : قائد من قواد المأمون ، وكان المأمون يعتز به ، وولاّه بعد والده طاهر بن الحسين حرب نصر بن شبث بالجزيرة فأخضعه ، كما حارب الخوارج وانتصر عليهم وقد ولى شئون مصر مدة توفى سنة (٢٣٠ هـ - ٨٨٤ م) .

أقرب الأنســاب

• **وقال حبيب الطائى[١] :**

ولقد سبرْتُ الناس ثم خبرْتُهم
وبلوْت ما وضعُوا من الأسبـاب
فإذا القرابةُ لا تُقرّب قاطعـا
وإذا المودّة أقربُ الأنســابِ

من صحت مودته

• **وللمبرّد[٢] :**

ما القُربُ إلا لمن صَحّت مودَتُه
ولم يخُنْك وليس القربُ للنسب
كم من قريبٍ دوِىَ الصدر مضْطغِنٍ
ومن بعيد سليم غير مقتــرب

---

(١) **حبيب بن أوس الطائى** (١٩٠ - ٢٣٢ هـ) أبوتمام من كبار شعراء العربية ، ورأس مذهب البديع ، ولد فى جاسم بحوران ، ورحل إلى مصر ، ثم انقلب إلى العراق ، وضرب فى الآفاق ينتجع الخلفاء والأمراء والقادة ، فلقى الحظوة عندهم ، وأصبح المقدم من الشعراء لديهم ، وُلّى بريد الموصل ، فلم يتم سنتين حتى توفى فيها . له كتب أشهرها « الحماسة » مطبوعات قسم اللغة العربية فى كلية الآداب – مطبعة الجامعة السورية – النصوص الأدبية .

(٢) **أبو العباس** محمد بن يزيد المبرد كبير نحاة البصرة فى عصره ، وصاحب كتاب الكامل ، أخذ عن الجَرْمِى والمازنى ، مات سنة ٢٨٠ ترجمته فى طبقات الزبيدى : ١٠٨ ، وفى نزهة الألباب ٢٧٩ .

• وقالت الحكمـاء :

رب أخٍ لك لم تَلِدْهُ أُمك

• وقالوا : القريب من قرب نفعه .

• وقالوا : رُبَّ بعيدٍ أقربُ من قريب .

الغريب وابن الأب

• وقال اخــر :

رُبَّ غريب ناصح الجيب وابن اب مُتَّهم الغيب

• وقال آخر :

أخو ثقةٍ يسرَ ببعض شأنى وإن لم تُدْنِه مِنّى قرابة
أحبَ إلىَ من ألفىَ قريب تبيت صدورهم لى مُستْرابة

الوصل والقطـع

• وقال اخــر :

فصِل حبال البعيد إن وصل الحبل وأقص القريب إن قطعهْ
قد يجمع المال غيرُ اكلـه ويأكلُ المال غيرُ من جمعـه
فارض من الدهر ما أتاك به من قَرَ عينا بعيشه نفعه

لا تحقرن الفقير

وقـــال :

لكل ضيقٍ من الهموم سَعةْ ... والليلُ والصبحُ لا بقاء معه

لا تحقِرَنَّ الفقيرَ علّك أنْ ... تركعَ يوما والدهرُ قد رفعه

للهِ دَرُّهُ من فتىً !!

● وقال ابن هرمة[1] :

لله درّك من فتى فجعت بـه ... يوم البقيع حوادث الايام

هشٍ إذا نزل الوفود ببابه ... سهلِ الحجاب مؤدَّب الخدامِ

وإذا رأيت صديقه وشقيقه ... لم تدر « أيُّهما أخو الأرحام »

(١) من شعراء المدينة فى ولاية الحسن بن زيد أيام أبى جعفر المنصور وفد على أبى جعفر المنصور ومدحه فاستحسن شعره ووصله ، وقال له : سل حاجتك . قال تكتب إلى عامل المدينة ألا يحدنى إذا أتى بى سكران ! فقال أبو جعفر : هذا حد من حدود الله تعالى لا يجوز أن أعطله . قال : فاحتل لى يا أمير المؤمنين ! فكتب إلى عامل المدينة : « من أتاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة ، واجلد ابن هرمة ثمانين » فكانت الشرط يمرون به مطروحا فى سكك المدينة فيقولون : من يشترى مائة بثمانين ؟!

ولله دره ! : الدر النَّفْسُ واللَّبَنُ ، ولله درُّهُ : أى عمله وهو أسلوب من أساليب التعجب السماعية .

التَّحَبُّب إلى الناس

- **فى الحديث المرفوع[1] :**

أحبُّ الناس إلى الله ، أكثر تحبُّبا إلى الناس .

- **وقيل فيه أيضا :**

إذا أحب الله عبدا حبّبه إلى الناس .

- **ومن قولنا فى هذا المعنى :**

وجهٌ عليه من الحياء سكينة
ومحبة تجرى مع الأنفاسِ
وإذا أحبَّ الله يوما عبدهُ
ألقى عليه محبة للناس

من عمر إلى سعد

- **وكتب عمر بن الخطاب** رضى الله عنه إلى سعد بن أبى وقاص :

---

(١) الحديث المرفوع هو : ما أضيف إلى النبى ﷺ قولا أو فعلا عنه ، وسواء كان متصلا ، أو منقطعا ، أو مرسلا .

ونفى الخطيب أن يكون مرسلا فقال :

هو ما أخبر فيه الصحابى عن رسول الله ﷺ الباعث الحثيث فى اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير .

إن الله إذا أحبَّ عبداً حبَّبه إلى خلقه . فاعتبِر منزلتَك من الله . بمنزِلتِك من الناس .

واعلم أن مالَك عند الله مثل ما للناس عندك .

تحبب إلى عبادِ الله

● **وقال أبو دُهمان** لسعيد بن مُسْلِم ، ووقف ببابه فحجبه حينا ثم أذن له ، فمثل بين يديه وقال :

إن هذا الأمر الذى صار إليك ، وفى يديك ، قد كان فى يدَىْ غيرك ، فأمسى - والله - حديثا ؛ إنْ خيْرا فخير ، وإن شرًا فشر .

فتحبب إلى عبادِ الله بحسن البِشْر ، وتسهيل الحجاب ، ولين الجانب ؛ فإن حبَّ عباد الله موصول بحب الله ، وبُغْضهم موصول ببغض الله ؛ لأنهم شهداء الله على خلقه ، ورقباؤه على من اعوج عن سبيله .

سوء الخُلُق !!

● **وقال الجارود**[1] :

سوء الخلق يُفسد العمل كما يُفسد الخل العسل !!

---

(١) **الجارود العبدى** : هو بشر بن عمرو بن المعلّى من عبدالقيس وسمى الجارود لأنه فر بإبله إلى أخواله بنى شيبان وبإبله داء ففشا ذلك الداء فى إبل أخواله فأهلكها فذلك قول الشاعر : لقد جرّد الجارود بكر بن وائل

وصدر البيت : ودسناهم بالخيل من كل جانب (الروض الأُنف : ٢ : ٢٤٠) وأسلم الجارود فى زمن النبى وابنه « عبدالله الجارود » وابنه « المنذر بن الجارود » « المعارف لابن قتيبة » .

من أحب الناس إليك ؟

● **وقيل لمعاوية :**

من أحبّ الناس إليك ؟ قال : من كانت له عندى يدٌ صالحة . قيل له : ثم من ؟ قال : من كانت لى عنده يد صالحة .

الدنيا لا تسع متباغضين

● **وقال محمد بن يزيد[1] النحوى :**

أتيت الخليل بن أحمد[2] ، فوجدته جالسا على طنفسة صغيرة فوسع لى ، وكرهت أن أضيّق عليه ، فانقبضت .

فأخذ بعضدى ، وقربنى إلى نفسه ، **وقال** : إنه لا يضيق سمُّ الخِياط بمتحابين ، ولا تسع الدنيا متباغضين

(١) **هو أبو العباس** محمد بن يزيد المبرد كبير نحاة البصرة فى عصره وصاحب كتاب الكامل . مات سنة ٢٨٠ هـ .

(٢) **الخليل بن أحمد** الفراهيدى : إمام فى النحو وهو مستنبط علم العروض وموازين الشعر وبحوره توفى سنة ١٧١ بالبصرة والطنفسة شبه بالوسادة يجلس عليها والجمع طنافس .

وقد وردت هناك رواية أخرى تقول :

« إن شبرا فى شبر يسع متحابين ، وإن الدنيا كلها لا تسع متباغضين »

أطيب العيش

• ومن قولنا فى هذا المعنى :

صِل من هويْت وإن أبدى معاتبة
فأطيبُ العيشِ وصلٌ بين إلْفين
واقطع حبائِل خِدْن لاتُلائمه
فربّما ضاقت الدنيا باثنين

مواصلتك لمن كان يواصِلُ أباك

• من حديث ابن أبى شيبة عن النبى ﷺ :

لا تقطع من كان يواصِلْ أباك ، تُطفِى بذلك نورَه ؛ فإن وُدَّك وُدُّ أبيك .

• **وقال** عبدالله بن مسعود : من برّ الحى بالميت أن يصل من كان يصلُ أباه .

• **وقال** أبو بكر :

الحبّ والبغض يُتوارثان !

• **ومن** أمثالهم فى هذا المعنى :

لا تقتنِ من كلب سوءٍ جرْوا[1] .

---

(١) **الجرو** : ولد الكلب .. فولد السوء لأبيه .

• **وقال الشاعر :**

تَرجو الوليدَ وقد أعياك والدُه

وما رجاؤك بعد الوالد الولَدَا ؟!

• **واجتمع قوم** عند ملك من ملوك العرب تميم بن مر ، وبكر بن وائل ، فوقعت بينهما منازعة ومفاخرة **فقالا** :

أيها الملك ، أعطنا سيفين نتجالد بهما بين يديك حتى تعلم أينا أجلد[1] ، فأمر الملك ، فمنحت لهما سيفان من عودين ، فأعطاهما إياهما ، فجعلا يضطربان مَلِيًا من النهار .

فقال بكر بن وائل :

لو كان سيفانا حديداً قطَعا !!

وقال تميم بن مر :

أو نُحتا من جندلٍ تصدّعا !![2]

وحال الملك بينهما ، **فقال** تميم بن مر لبكر بن وائل :

أساجلُك العداوة ما بقينا !!

فقال بكر :

وإن مِتنا نورّثها البنينا !!

فيقال : إن عداوة بكر وتميم من أجل ذلك إلى اليوم .

---

(١) **نتجالد** : نتضارب فنصيب الجلد . **وأجلد** : أكثر تجلدا وتحملا وصبرا .

(٢) **الجندل** : الحجر الصلد .

الفصل الرابع

الرفق والأناة

من يؤتى الرفق :

- **قال النبى ﷺ : « من أوتى حظه من الرفق . فقد أوتى حظه من خير الدنيا والآخرة »**

- **وقالت الحكماء :**

يُدرك بالرفق ما لايُدرك بالعنف ؛ ألا ترى ان الماء على لينه يقطع الحجر على شدته ؟!!

- **وقال أشجع** بن عمرو السلمى لجعفر بن خالد :

ما كان يدرك بالرجال ولا بالمال ما أدركت بالرفقِ

- **وقال النابغة**[1] **:**

الرفق يمن ، والأناة سعادة فاستانِ فى رفقٍ تلاقِ نجاحا

- **وقالوا** : العجل بريد الزلل .

- أخذ القطامى التغلبى هذا المعنى **فقال** :

قد يُدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

- **وقال عدىّ بن زيد :**

قد يُدرك المبطىء من حظه والحين قد يسبق جهد الحريص[2]

(١) **النابغة الذُبيانى** نبغ فى الشعر كبير له قصائد تعرف بالاعتذاريات قالها عندما غضب عليه النعمان أبو قابوس ففر من الحيرة ولجأ إلى الغسانيين فأكرموا وفادته ، ولكن ذكريات النابغة فى قصور النعمان كانت لا تزال تشعل قلبه فراح يلتمس طريق العودة وهيأت له تلك الاعتذاريات ما أراد .

(٢) **الحَيْن** : الموت والهلاك . قد يحول الموت دون تحقيق ما يحرص عليه الحريص العجول

الفصل الخامس

صفة الحلم وما يصلح له

مِمّن تَعلمتَ الحلم ؟

● قيل للأحنف بن قيس : مِمن تعلمت الحلم ؟

قال : من قيس بن عاصم المِنْقرىّ رأيته قاعدًا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدّث قومه ، حتى أُتِى برجل مكتوفٍ ورجلٍ مقتولٍ .

فقيل له : هذا ابنُ أخيك قتل ابنك ! فوالله ماحلّ حبوته[2] ، ولا قطع كلامه ، ثم التفت إلى ابن أخيه فقال له :

يا بن أخى ؛ أثِمْت بربّك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك .

ثم **قال** لابن آخر : **قم** يابُنىّ ، فوارِ أخاك ، **وحُلّ** كِتاف ابن عمك ، **وسُقْ** إلى أمه مائة ناقة دية ابنها ، فإنها غريبة ، **ثم أنشأ يقول** :

إنّى امْرُؤ لا شائن حسبى
دنسٌ يُهجّنه ، ولا أفْنُ[3]
مِنْ مِنقرٍ فى بيت مكْرُمة
والغُصْنُ ينبت حوله الغُصُن

---

(١) **احتبى بالثوب** : جمع بين ظهره وساقه بعمامة ونحوها ليتمكن من الجلوس طويلا ، كما يفعل البعض عندما يشبك يديه أسفل ركبتيه .

(٢) **لم يغير** من وضعه فى الجلوس كناية عن الحلم .

(٣) **شانه** : عابه ، **والأفْن** : ضعف الرأى والعقل .

خُطَباءُ حين يقولُ قائلهم
بيضُ الوُجُوهِ أَعِفَّةٌ لُسْنُ(1)
لا يفطنـون لعيبِ جارهـمُ
وهم لحفظ جِوَارهم فُطْنُ

الحـلم والأنـاة :

٢ - وسـأل أمير المؤمنين على بن أبى طالب كبيرا من كبراء الفُرس : أىُّ شيءٍ لملوككهم كان أحمد عندكم ؟

قال : كان لأردشير فضلُ السبق فى المملكة . غير أن أحمدهم سيرة أنو شروان .

قال : فأى أخلاقه كان أغلب عليه ؟

قال : **الحِلْم والأناة** . قال : هما توءمان ينتجهما علو الهمة .

---

(1) **لُسْن** : فيهم لَسَنٌ . أى فصاحة . جمع أَلْسن .

الفصل السادس

فى التواضـــع

قالوا ..

- قال النبى ﷺ « من تواضع لله رفعه الله » .

- قالت الحكماء : كلَ نعمة يُحسد عليها إلا التواضع .

أفضـل الرجــال :

- وقال **عبدالملك** بن مروان رفعه إلى النبى ﷺ :

أفضل الرجال : من تواضع عن رفعة .
وزهد عن قدرة .
وأنصف عن قـوَة .

- **وقال ابن السماك لعيسى بن موسى :**

تواضعك فى شرفك أكبر من شرفك .

من تواضــع النجاشــى :

- **وأصبح النجاشى يوما جالساً على الأرض والتاج عليه ، فأعظمت بطارقته ذلك . وسألوه عن السبب الذى أوجبه ؛ فقال :**

وجدت فيما أنزل الله على المسيح :

إذا أنعمت على عبدى نعمة فتواضع ، أتممتها عليه . وإنه وُلد لى فى

هذه الليلة غلام ، فتواضعت شكراً لله .

عمر وامرأة من قريش :

خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويده على المعلى بن الجارود العبدى ، فلقيته امرأة من قريش **فقالت له** :

يا عمر ، فوقف لها . **فقالت** : كنا نعرفك مدة عميرا ثم صرت من بعد عُمَيْرٍ عمر ، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين . فاتق الله يا بن الخطاب ، وانظر فى امور الناس ؛ فإنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشى الفوت .

فقال المعلى : إيها[1] يا أمة الله !! لقد ابكيت امير المؤمنين !

فقال له عمر : اسكت .

اتدرى من هذه ويحك ؟

هذه خولة بنت حكيم ، التى سمع الله قولها من سمائه ، فعمر أحرى أن يسمع قولها ، ويقتدى به .

- **وقال أبو عباد** :

ما جلس إلىَّ رجل **قَطُّ** إلا خيل إلىّ أنى سأجلس بين يديه .

---

(١) **إيها** : كفى أو توقفى عن كلامك فى مثل هذا .

قال صاحب القاموس وإيها (بالنصب وبالفتح) أمر بالتوقف والسكوت . أما إيه فهى استزادة واستنطاق . بعكس إيها .

الفصل السابع

فى الحيـــاء

الحيـــاء خيرٌ كُلُّـــه :

قال النبى ﷺ :

الحياء خيْرٌ كُلّه . الحياءُ شعبةٌ من الإيمان

رجـــــل حَيِىٌّ :

□ ذكر أَعرابى رجلا حييًا ؛ فقال :

لا تراه – الدهر – إلا وكأنه لا غنى به عنك ، وإن كنت إليه أحوج ؛ وإن أذْنبْت غفر وكأنه المذنب ، وإن أسأت إليه أحسن وكأنه المسىء !

إذا ذهب الحيـــاء :

ولبعضهــــم :

فلا وأبيك ما فى العيش خيرٌ
ولا الدّنيا إذا ذهب الحياءُ

إذا رزق الفتى ... !!

□ وقال آخر :

إذا رُزِقَ الفتَى وجْها وقاحاً[1]
تَقلّبَ فى الأمور كما يشاء
ولم يك للدواء ولا لِشَىءٍ
تُعالِجُه به فِيهِ غَنَاءُ[2]
ورُبَّ قبيحةٍ ما حال بينى
وبين رُكوبِها إلا الحياء[3]

رجل يصف الحياء عند الأحنف :

□ ووصف رجل الحياء عند الأحنف ، **فقال** :

إن الحياء ليتم لمقدار من المقادير ، فمازاد على ذلك فسَمِّه بما أحببت .

* * *

(١) **وَقَاح** : قلّ حياؤه .

(٢) **فالوقاحة كالحمق** ؛ ليس لها دواء ، ولا يجدى معها علاج .

(٣) **ركوبها** : فعلها وممارستها ؛ فالحياء وقاية وتحصين .

الفصل الثامن

السُّؤْدُدْ

تسمع بالمعيدىّ خير من أن تراه

□ دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر – وكان به دَمَامةٌ شديدة[١] – فالتفت النعمان إلى أصحابه ، **وقال : تسمعُ بالمُعَيْدِىِّ خيرٌ من أن تراه[٢] .**

فقال : أيها الملك ، إنما المرء بأَصْغَرَيْه : قلبه ولسانه . فإن قال ، قال ببيان ، وان قاتل ، قاتل بجَنان[٣] .

قال : صدقت ، وبِحَقٍّ سوَّدَك قومُك .

لِمَ سودناك ؟!

وكان سلْم بنْ نوفل سيد بنى كنانة ، فوثب رجل على ابنه وابن أخيه فجرحهما ؛ فأتى به .

فقال له : ما أمَنك من انتقامى ؟

قال : فلِمَ سوَّدناك إذا إلا أن تكظم الغيظ[٤] وتحلُم عن الجاهل ، وتحتمل المكروه .

---

(١) **الدمامة** : قبح الخلق .
(٢) **هذا مثل** يُضرب لمن خبره خير من رؤيته .
(٣) **الجنان** : القلب . يريد بشجاعة .
(٤) **كظم غيظه** : حبسه .

فخلّى سبيله ، فقال فيه الشاعر :

يُسَوَّدُ أقوام وليسوا بسادةٍ
بَلِ السَّيِّدُ الصِّنديدُ[1] سَلْم بنُ نَوْفَلِ

* * *

(١) الصِّنديد : السيد الشجاع ، أو الحليم ، أو الجواد ، أو الشريف .

الفصل التاسع

العقل والهوى

العقـــل بالتجـــارب

١ قال **سحبان بن وائل** : العقل بالتجارب ؛ لأن عقل الغريزه سُلّم إلى عقل التجربة .

لســان العاقل وقلب الأحمـق

٢ وقال **الحسن البصرى** : لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام تفكر ، فإن كان له قال ، وإن كان عليه سكت . وقلب الأحمق من وراء لسانه ؛ فإذا أراد أن يقول ، قال . فإن كان له سكت ، وإن كان عليه قال .

اختبـــار

٣ - دخل رجل على سليمان بن عبدالملك ، فتكلم عنده بكلام أعجب سليمان ، فأراد أن يختبره لينظر : أعَقْلُه على قدر كلامه أم لا ؟ فوجده مضعوفا ؛ فقال :

فضل العقل على المنطق حكمـــة .

(١) مضعوفا : ضعيف الرأى .

وفضل المنطق على العقل هُجْنة ![1]

وخير الأمور ما صدّق بعضها بعضا ، وأنشد :

وما المرء إلا الأصغران : لسانه ... ومعقوله ، والجسم خلق مُصوّرْ

فإن ترمِنْه مايروق فربما ... أمَرَّ مذاق العود والعود أخضرُ

ومن أحسن ما قيل فى هذا المعنى قول زهير :

وكائن ترى من صامت لك مُعْجِبٍ

زيادته أو نقصُه فى التكلّم

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده

فلم يبق إلا صورةُ اللحم والدَمِ

* * *

(١) الهجنة فى الكلام : ما يلزمك منه العيب .

الفصل العاشر

فى التجارب والتأدب بالزمان

- **قالت الحكماء :**

كفى بالتجارب تأديبا ، وبتقَلّبِ الأيام عِظَةً

- **وقـالوا :** كفى بالدهرِ مؤدِّبا ، وبالعقل مرشِدًا .

- **وقال حبيب :**

أحاولت إرشادى ؛ فعقلى مُرْشِدى
أم استمْت تأديبى؛ فدهرى مؤدِّبى؟

- وقال إبراهيم بن شكلة :

من لم يؤدِّبه والده أدّبه الليل والنهار
كم قد أذلّا كريم قوم ليس له منهما انتصار
من ذَا يَدُ لدهرٍ لم تنله أو اطمأنت به الديار ؟!
كلٌّ عن حادثاتِ مُغضٍ وعندهُ للزمانِ ثأرُ

- وقال آخر :

وما أبقت لك الأيام عُذْرًا
وبالأيام يتَّعظ اللبيبُ

وقالوا : كفى بالدهر مخبرًا بما مضى عما بقى !

وقالوا : كفى مُخْبرًا لذوى الألباب ما جربوا .

وقالوا لعيسى بن مريم (عليه السلام) : من أدبك ؟

قال : ما أدبنى أحد ! رأيت الجهل قبيحاً فاجتنبته !!

* * *

صحبة الأيام بالموادعة

كيف نصحب الأيام ؟

- **قالت الحكماء** : صحب الأيام بالموادعة ، ولا تسابق الدهر فتكبو .
- **وقال الشاعر** :

من سابق الدهر كبا كبْوة
لم يستقِلْها من خُطا الدهر
فاخط مع الدهر إذا ماخطا
واجر مع الدهر كما يجرى

- **وقال بشار العقيلى** :

أعاذِلَ إن العُسْرَ سوف يفيق وإن يسارًا من غدٍ لخليق
وما كنتُ إلا كالزمان إذا صحا صحوتُ وإن ماق الزمان أموق

- **وقال آخر** :

تحامق مع الحمقى إذا مالقيتهم ولاقِهم بالجهلِ فعل ذوى الجهل(١)

(١) ومثله قوله شاعرنا :

ولما رأيت الجهل فى الناس فاشيا
تجاهلت حتى ظُن أنى جاهلْ !

وخلِّط إذا لاقيت يوما مخلِّطًا يخلِّطُ فى قولٍ صحيح وفى هزل[1]
فإنى رأيت المرء يشقى بعقله كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

- وقال الآخر :

إن المقاديرَ إذا ساعدت
ألحقت العاجـــزَ بالحازمِ

- وقال الآخر :

والسَّبَبُ المانعُ حَظَّ العاقِل
هو الذى سبَّبَ حَظَّ الجاهلِ

- ومن أمثالهم فى ذلك :

تطامنْ لها تخطُك

- ومن قولنا فى هذا المعنى :

تطامَنْ[2] للزمان يجْزْك عفوا
وإن قالوا : ذليل ! قل : ذليل

(١) التخليط : يقال خلط فى الكلام : هذى وتصرف تصرف الحمقى وضعاف العقول . والدين يطلب منا أن نُحسن إذا أحسن الناس . أما إذا أساءوا فعلينا ألا نتابعهم ، وإنما نحاول أن نفعل ما هو خير ، فالمؤمن ليس إمَّعة : يقول أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت ، وإن أساءوا أسأت .

(٢) **تطامن** : انخفض وقال بعضهم : خير الرجال من ينحنى للعاصفة رافعا رأسه .

وإن كان هناك من يقول :

تعصفُ الريحُ بالضعيــف من النـبت
وتخشى القـوىَّ من باسقـاتـه !!

• وقال حبيب .

وكانت لوعة ثم اطمأنت
كذاك لكلَ سائلةٍ قرار

• وقال أيضا :

ماذا يريك الدهر من هوانه ؟
يُمَكِّن قرد السوء فى زمانه

إن الدهــر لا يصبر

• وقال اخر :

الدهر لا يبقى على حالة
لابد ان يقبل أو يُدبر
فإن تلقاك بمكروهه
فاصبر : فإن الدهر لا يصبر

• وقال اخر :

اصبر لدهرٍ نال منك فهكذا مضت الدهور
فرحا وحُزْنا مرّة لا الحزن دام ولا السرور

محـال أن يدوم سـرور

• وقـال اخـر :

عفا الله عمن صيَر الهمَ واحدا
وأيقن أن الدائراتِ تدورْ
تروح لنا الدنيا بغير الذى غدت
وتحدُثُ من بعدِ الأمور أمور
وتجرى الليالى باجتماع وفُرقةٍ
وتطْلع فيها أنْجُمٌ وتغـور
وتطمعُ أن يبقى السرورُ لأهِله
وهذا محالٌ أن يدوم سرور

سأنتظر الأيـام

• ولآخـــر :

سأنتظرُ الأيام فيك لعلّها
تعودُ إلى الوصلِ الذى هو أجملُ

* * *





ولَمْ أرَ فى عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا
كنقص القادرين على التَّمام





الفصل الأول

فــى ســـوء الأدب

اقــبض يــدك ..

● دخل عـروة بن مسعود الثقفى على النبى ﷺ : فجعل يحدثه ويشير بيده إليه حتى تمسّ لحيته ، والمغيرة بن شعبة واقف على رأس الرسول ﷺ بيده السيف ، فقال له :

اقبض يدك على لحية رسول الله ﷺ قبل ألا ترجع إليك ! فقبض يده عروة .

وعروة : هذا عظيم القريتين الذى قالت فيه قريش :

﴿ لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾[1] .

ويقال : إنه الوليد بن المغيرة المخزومى .

---

(١) سورة الزخرف : الآية : ٣١ .

النبى ﷺ ووفد تميم :

ولما قدم وفد تميم على النبى ﷺ ناداه رجل منهم من وراء الجدار : يا محمد اخرج إلينا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** ﴾[1] .

وفى قراءة ابن مسعود : ﴿ **بنو تميم أكثرهم لا يعقلون** ﴾

وأنزل الله فى ذلك :

﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا** ﴾[2] .

أبوبكر وبائع ثوب :

□ ونظر **أبوبكر الصديق** إلى رجل يبيع ثوبا ، **فقال له** :

أتبيع الثوب ؟

قال : لا عافاك الله !

قال : لقد علمتم لو تتعلمون : قل : لا ، وعافاك الله .

(١) سورة الحجرات : الآية : ٤ .

(٢) سورة النور : الآية : ٦٣ .

الحسن وصاحب دم[1] :

□ وخطب **الحسن** فى دم ، فأجابه صاحب الدم **فقال** :

قد وضعت ذلك الدم لله ، ولوجوهكم[2] .

قال له الحسن : **ألا قلت** : قد وضعت ذلك الدم لله خالصا ؟!

دليل على سوء الحديث :

□ **وذكر** أعرابى رجلا **بسوء الأدب فقال** : إن حدثته سابقك إلى ذلك الحديث ، وإن تركته أخذ فى **الترهات**[3] .

المهدىّ وبعض الرواة :

□ **ودخل** بعض الرواة على المهدى فقال له : أنشِدْنى قول زهير :

لمن الديار بقِنَّةِ الحجرِ ؟

فأنشدها حتى أتى على آخرها ، فقال له المهدى : ذهب والله من كان يقول هذا !

---

(١) **له** ثأر عند قاتل .

(٢) **وضعته** : تنازلت عن حقى فيه .

(٣) **التّرّهات** : الأباطيل .

فقال له : كما ذهب والله من كان يقال فيه !

فاستجهله واستحمقه ![1]

المأمون وقُطْرُب :

ولما رفع **قطربٌ** النحوى كتابه فى القرآن إلى المأمون ، أمر له بجائزة ، وأَذِنَ له ، فلما دخل عليه قال :

قد كانت عِدَةُ أمير المؤمنين أرفع من جائزته .

فغضب المأمون ، وهمَّ به ! ، **فقال** له سهل بن هارون :

يا أمير المؤمنين ، إنه لم يقل بذات نفسه ، وإنما غلب عليه الحصر[2] . ألا تراه كيف يرشح جبينه ، ويكسر أصابعه ؟! فسكن غضب المأمون واستجهله واستحمقه !!

الحسن اللؤلؤى والمأمون :

□ **وكان الحسن اللؤلؤى** ليلةً عند المأمون بالرِّقَّةِ وهو يسامره ، إذ نعس المأمون ، والحسن يحدثه ، **فقال له** :

---

(١) **عدّه** : أحمق جاهلاً ، لأنه وهو الخليفة إذا كان يتحسر على النماذج المقتدرة من الشعراء من أمثال زهير بن أبى سلمى ، فما ينبغى له وهو الراوى أن يقول فى حضرة المهدى إن النماذج الطيبة التى كان يقال لها وفيها الشعر قد ذهبت أيضا ..

(٢) **العِىُّ** والعجز عن الكلام .

نعست يا امير المؤمنين فانتبه !!

فقال : سوقٌ وربِّ الكعبة !

يا غلام ، خذ بيده .

أبوالنجم وهشام بن عبدالملك :

□ ودخل أبوالنجم على هشام بن عبدالملك **بأرجوزته التى أولها** :

الحمد لله الوَهوب المُجزِلِ

وهى من أجود شعره ! ، فلما أتى على قوله :

والشمسُ فى الجوِّ كعين الأحولِ

غضب هشام ، وكان أحولَ ، فأمر بصفع قفاه وإخراجه !

كثيِّر عزة ويزيد بن عبدالملك .

□ ودخل كثير عزة على يزيد بن **عبدالملك** ، فبينا هو يحدثه إذ قال يا أمير المؤمنين ، مامعنى قول الشَّمَّاخ :

إذا الأرطَى توسَّد أبْرَدَيْه

خدودَ جوازىء بالرمل عِين[1]

(١) **الأرطى** : شجر ينبت بالرمل ، وهو شبيه بالغضى زهره طيب الرائحة . **والأبردان** : الظل والفىء . **والجوازئ** : البقر والظباء التى جزأت بالرطب عن الماء . **والعِين** : جمع عيناء ، وهى الواسعة العين .

فقال يزيد : وماذا على أمير المؤمنين ألا يعرف ما قال هذا الأعرابى **الجلف** مثلك ؟!

واستحمقه ، وأمر بإخراجه

الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية:

□ ووقف **الأحنف** بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية ، فأذن للأحنف ، ثم لمحمد بن الأشعث ، فأسرع محمد فى مشيته حتى دخل قبل الأحنف ، فلما رآه معاوية قال له :

والله إنى ما أذنت له قبلك ، وأنا أريد أن تدخل قبله ! **وإنا كما نلى أمورَكم ، كذلك نلى أدبَكُم .**

ولا تزيَّدَ متزيِّدٌ فى أمره إلا لِنَقْصٍ ، يجدُه فى نفِسه !

عبدالملك بن مروان :

قال عبدالملك بن مروان : ثلاثةٌ لا ينبغى للعاقل أن يستخفَّ بهم :

العلمـاءُ ، والسـلطانُ ، والإخـوانُ

* **فمن** استخفّ **بالعلماءِ** أفسدَ دينَه .
* **ومن** استخفّ **بالسلطان** أفسد دُنْياه .
* **ومن** استخفّ **بالإخوانِ** أفسد مُرءوتَه .

* * *

الفصل الثانى

فى فساد الإخوان
كيف كانوا ..؟ وكيف أصبحوا ؟!!

- **قال أبو الدَّرْدَاءِ :**

كان الناسُ ورقاً لا شوكَ فيه فصاروا شوكاً لا ورقَ فيه .

- **وقيل لِعُرْوَةَ بن الزبَيْرِ :**

ألا تنتقل إلى المدينة ؟

قال : ما بقى بالمدينة إلا حاسدٌ على نعمةٍ ، أو شامتٌ بمصيبة !!

على الإخوان العفاء !!

- **الخشنى ، قال :** أنشدنى الريّاشى :

إذا ذهب التَّكَرُّمُ والوفاءُ وبادَ رجالُه ، وبقى الغُثاءُ
وأَسْلَمنى الزمانُ إلى رجالٍ كأمثالِ الذّئاب لها عُواءُ
صديقٌ كلما استغنيتَ عنهم وأعداءٌ إذا جَهِدَ البلاءُ

إذا ماجئتُهم يتدافعــونى كأنى أجربٌ آذاهُ داءُ
أقول ولا أُلام على مقالٍ على الإخوانِ كلِّهم العفاء

الكريــم واللئـيم !!

● **وقالت الحكمـاء :**

لا شيءَ أضيعُ من مودَّةِ من لا وفاءَ له !! ، واصطناعِ من لا شكرَ عِنْدَه !! ، والكريم يوَدُّ الكريم عن لُقْيةٍ واحدة .

واللئيم لا يصلُ أحداً إلا عن رغبةٍ أو رهبةٍ !

● **وفى كتاب للهند** : إن الرجلَ السَّوْء لا يتغيرُ عن طَبعِهِ كما أن الشجرةَ المُرَّةَ لو طليْتَهَا بالعسلِ لم تُثْمرْ إلا مُرًّا .

● **وسمع رجل أبا العتاهية يُنْشِد :**

فارم بطرفك حيث شئت فلا ترى إلا بخلا

موازنـــــة !!

● وقال أيضا فى هذا المعنى :

لله دَرُّ أبيك أىُّ زمانِ أصبحتَ فيه وأىُّ أهلِ زمانِ ؟
كلٌّ يوازِنُك المودةَ جاهدًا يُعطى ويأخذُ منك بالميزانِ
فإذا رأى رُجْحانَ حَبَّةِ خردلٍ مالت مودَّتُه إلى الرُّجْحانِ

• **وقال آخر :**

أرى قومًا وجوهُهُم حِسانٌ إذا كانت حوائجهم إليْنا
وإن كانت حوائجُنا إليهم يُقَبِّح حُسْنُ اوجُهِهم إليْنا
فإن مَنَعَ الأشِحَّةُ مالَديْهم فإنا سوفَ نمنَعُ مالَديْنا

التنزه عن سماع الخنا

• **اعلم** أن السامع شريك القائل فى الشر ، قال الله :

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِب ﴾

[المائدة : ٤٢]

• **وقال العُتْبِى :**[١] حدثنى أبى عن سعد القصير قال :

نظر إلى عمرو بن عتبة ورجل يشتم رجلاً بين يدى .

فقال لى : ويلك ! – وما **قال لى** : « ويلك » قبلها – نَزِّه سمعك عن استماع الخَنَا[٢] ، كما تنزه لسانك عن الكلام به ؛ فإن السامع شريك القائل .

وإنه عمد إلى شر ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك ولورُدَّت كلمة جاهلٍ فىّ فيه لسعد رادُّها كما شقى قائلها .

(١) **هو محمد بن عبدالله العتبى** من ولد عتبة بن أبى سفيان كان راوية إخباريا شاعرا بليغا وخطيبا لنا وأكثر أخباره عن بنى أمية . سنة ٢٨٨ هـ . البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٤٧ .
(٢) **الخنا** : ما فحش من القول ، وتعاف الأذن سماعه ، ويعف اللسان الشريف عن ذكره .

الفصل الثالث

الغُلُوّ فى الدِّين

عمر بن ذر ورجل أسرف على نفسه :

● **توفى** رجل فى عهد **عمر بن ذر** ممن أسرف على نفسه فى الذنوب ، وجاوز فى الطغيان ، فتجافى الناس عن جنازته ، فحضرها عمر ابن ذر وصلى عليه ، فلما أُدْلِىَ فى قبره قال :

يرحمك الله أبا فلان ، صحبت عمرك بالتوحيد ، وعفَرت وجهك لله بالسجود ، فإن قالوا مذنب وذو خطايا ، فمن منا غير مذنب وذى خطايا ؟!

من رغب عن سنتى فليس منى :

ومن حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : **إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال :**

﴿ يأيها الرسُل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ﴾

[المؤمنون : ٥١]

وقال : ﴿ يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾

[البقرة : ١٧٢]

ثم ذكر الرجلَ يُرى أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء يقول : ياربِّ ، ياربِّ ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، فأنَّى يستجاب له ؟! »

● **قال النبي ﷺ : « إن الله بعثنى بالحنيفية السمحة ، ولم يبعثنى بالرهبانية المبتدعة ، سنتى الصلاة والنوم ، والإفطار والصوم ، فمن رغب عن سنتى فليس منى »**

● **وقال ﷺ : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ؛ فإن المنبت[1] لا أرضا قطع ، ولا ظهرًا أبقى »**

● **وقال على بن أبى طالب[2]** – رضى الله عنه : خير هذه الأمة النمط الأوسط ، يرجع إليهم الغالى[3] ، ويلحق بهم التالى .

● **وقال مُطَرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير** لابنـه وكان قد تعبد : يابنى ، إن الحسنة بين السيئتين – يعنى الدين بين الإفراط والتقصير ، وخير الأمور أوسطها ، وشر السير الحقحقة .

● **وقال سلمان الفارسى** : القصدَ والدوامَ ، وأنت الجواد السابق .

● **وقال** : عامل البر كآكل الطعام إن أكل منه قوتا عصمه وإن أسرف منه أبشمه .

---

(١) **المُنْبَتّ** الذى انقطع ماء ظهره ، والذى بته السفر فانبت وانقطع عن الركب .. وهو من يجهد دابته ويكلفها مالا تطيق وساق دابته حتى بتها . لسان العرب .

(٢) **الخليفة الرابع** ، وأبلغ البلغاء بعد رسول الله ﷺ .

(٣) **الغالى** : الذى غالى وبالغ فى العبادة .

● **وفى بعض الحديث** : أن عيسى بن مريم عليه السلام لقى رجلا فقال له : ما تصنع ؟ قال : أتعبد .

قال : فمن يعود عليك ؟ **قال** : أخى . **قال** : هو أعبد منك

كلكم أفضـــل منه :

● **ونظير هذا** أن رفقة من الأشعريين كانوا فى سفر فلما قدموا **قالوا** : ما رأينا يا رسول الله بعدك أفضل من فلان ، كان يصوم النهار ، فإذا نزلنا قام من الليل حتى نرتحل .

قال : فمن كان يَمْهَن له ويكفله ؟

قالوا : كلنــا .

قال : كلكم أفضل منه .

● **وقيــل للزهــرى** :

ما الزهــد فى الدنيــا ؟

قال : إنه ما هو بتشعيث اللِّمة[1] ، ولا قَشَفِ الهيئة ، ولكنه ظَلَف النفس عن الشهوة .

● **على بن عاصم** عن أبى إسحاق عن الشيبانى **قال** :

---

(١) **اللمة** : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، وما تشعث من الشعر وصاحب الشعر المتلبد المغبر يقال إنه أشعث أغبر !!

(٢) ظلف النفس : كفها .

رأيت محمد بن الحنفية واقفا بعرفات على بِرْذَوْنٍ[1] وعليه مُطْرَفُ خَزٍّ أصفر[2] .

● **السُّدّى** عن جُريج عن عثمان بن أبى سليمان أن ابن عباس كان يرتدى رداءً بألف .

● **إسماعيل بن عبدالله** : بن جعفر عن أبيه **قال** :

رأيت رسول الله ﷺ عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران : رداء وعمامة .

● **وقال معمر** : رأيت قميص أيوب السختيانى يكاد يمس الأرض فسألته فى ذلك ، فقال : إن الشهرة كانت فيما مضى فى تذييل القميص ، وإنها اليوم فى تشميره .

● **أبو حاتم عن الأصمعى** :

أن ابن عون اشترى برنُسا فمر على مُعاذَة العدوية فقالت : مثلك يلبس هذا ؟!

فذكرت ذلك **لابن سيرين**[3] ، فقال : أفلا أخبرتها أن تميما الدارىّ اشترى حُلَّةً بألف يصلى فيها !!

(١) **البرذون** : دابة بين الحمار والفرس . والتركى من الخيل .

(٢) **المطرف** : رداء من خز ذو أعلام والجمع مطارف .

(٣) هو محمد بن سيرين كان يكنى أبا بكر ، وكان والده سيرين عبدا لأنس بن مالك فكاتبه على عشرين ألفا وأدَّاها ، وكانت أمه صفية مولاة أبى بكر الصديق . وكان محمد بزازاً وحبس بدين كان عليه . قال الأصمعى : الحسن البصرى سيد سمح ، وإذا حدثك الأصم - يعنى ابن سيرين - بشىء فاشدد يديك عليه ، وقتادة حاطب ليل . ولد سنة ٣٣ هـ - ٦٥٣ م وتوفى سنة ١١٠ هـ - ٧٢٨ م . البيان والتبيين جـ ١ ، ص ١٤٢ .

● **قدم حماد** بن سلمة البصرة ، **فجاءه فرقد السبخىّ وعليه ثياب** صوف ، فقال له حماد : دع **عنك نصرانيتك هذه !!** .

فقال له : لقد رأيتنا ننظر إبراهيم فيخرج إلينا وعليه **معصفرة** ، ونحن نرى أن الميتة قد حلت له .

● **أبوالحسن المدائنى قال** : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وإلى خراسان فى مِدْرعة صوف **فقال له** : ما يدعوك إلى لباس هذه ؟ فسكت .

فقال له قتيبة : أكلمك فلا تجيبنى ؟!

قال : أكره أن أقول زهدًا فأزكى نفسى ، أو أقول فقرا فأشكو ربى !

فما جوابك إلا السكوت .

ابن السماك وأصحاب الصوف :

قال ابن السماك لأصحاب الصوف :

والله لئن كان لباسكم وفقا لسرائركم لقد أحببتم أن يطَّلع الناس عليها ، وإن كان مخالفا لقد هلكتم .

القاسم بن محمد وسالم بن عبدالله

● **وكان القاسم** بن محمد يلبس **الخز** ، وسالم بن عبدالله يلبس الصوف ويقعدان فى مسجد المدينة ، فلا ينكر هذا على هذا ، ولا ذا على هذا .

التَّزَيُّن :

● ودخل رجل على محمد بن المنكدر فوجده قاعدا على حشايا مضاعفة ، وجارية تغلفه بالغالية ، فقال : يرحمك الله ! جئت أسألك عن شيء وجدتك فيه – يريد التزين – قال : على هذا أدركت الناس .

الأعمش وإمام أطال :

● وصلى الأعمش فى مسجد قوم فأطال بهم الإمام ، فلما فرغ **قال له** : يا هذا ، لا تُطل صلاتك ؛ فإنه قد يكون خلفك ذو الحاجة والكبير والضعيف .

قال الإمام : وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين .

فقال له الأعمش : **أنا رسول الخاشعين إليك** . **إنهم لا يحتاجون إلى هذا منك** .

الربيع بن زياد وعلى بن أبى طالب :

● **العتبى قال** : أصابت الربيع بن زياد نُشَّابة فى جبينه ، فكانت تنتقض عليه كُلَّ عام .

فأتاه على بن أبى طالب عائدا ، **فقال** : كيف تجدك يا أبا عبدالرحمن ؟

قال : أجدنى لو كان لا يذهب ما بى إلا بذهاب بصرى لتمنيت ذهابه .

قال : وما قيمة بصرك عندك ؟

قال : لو كانت لى الدنيا فديته بها .

قال : لا جَرَم يعطيك الله على قدر الدنيا ، لو كانت لك ، لأنفقتها فى سبيل الله ، إن الله يعطى على قدر الألم والمصيبة ، وعنده بعدُ تضعيف كثير .

شكوى من عاصم بن زياد :

● **وقال له الربيع** : يا أمير المؤمنين ، إنى لأشكو إليك عاصم بن زياد .
قال : وما له ؟

قال : لبس العَبَاء ، وترك الملاء ، وغمَّ أهله ، وأحزن ولده !

قال : علىَّ عاصما ، فلما أتاه عبس فى وجهه ، وقال : ويلك يا عاصم ، أترى الله أباح لك اللذات وهو يكره منك أخذك منها ؟

أنت أهون على الله من ذلك .

أوَ ماسمعته يقول : ﴿ **مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان** ﴾

[الرحمن : ٢٠]

حتى قال : ﴿ **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** ﴾ [سورة الرحمن : ٢٢]
وتالله لابتذال نعم الله بالفعال أحبُّ إلى من ابتذالها بالمقال ، وقد سمعته يقول : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ .

[سورة الضحى : ١١]

وقوله : ﴿ **قل من حرَّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ﴾

[الأعراف : الآية ٣٢]

قال عاصم : فعلام اقتصرت أنت يا أمير المؤمنين على لُبْس الخشن ، وأكل الحشف[1] ؟

قال : إن الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام ، لئلا يَشْنُع بالفقير فقره .

قال : فما خرج حتى لبس المُلَاءَ ، وترك القباءَ .

النبى ﷺ وعبدالله بن عمرو وقد شكته زوجه :

● **محمد بن حاطب الجُمَحى قال :**

حدثنى من سمع عمرو بن شعيب ، وكنت سمعته أنا وأبى جميعا قال : حدثنى **عمرو بن** شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن مسعود قال : أتى رسول الله ﷺ ذات يوم أم عبدالله بن عمرو بن العاص وكانت امرأته تَلْطِف برسول الله ﷺ **فقال : كيف أنت يا أم عبدالله ؟ قالت : كيف أكون وعبدالله ابن عمرو رجل قد تخلى من الدنيا ؟! قال لها : كيف ذلك ؟**

قالت : حرّم النوم ؛ فلا ينام ولا يفطر ، ولا يطعَم اللحم ، ولا يؤدى إلى أهله حقهم .

قال : فأين هو ؟

---

(١) **الحشف** : ردىء التمر . وفى المثل : أحشفا وسوء كيلة ؟!

قالت : خرج ، ويوشك أن يرجع الساعة .

قال : فإذا رجع فاحبسيه على .

فخرج رسول الله ﷺ ، وجاء عبدالله ، وأوشك رسول الله ﷺ في الرجعة ، فقال : يا عبدالله بن عمرو ، ما هذا الذى بلغنى عنك أنك لا تنام ؟

قال : وما ذاك يا رسول الله ؟

قال : بلغنى أنك لا تنام ولا تفطر .

قال : أردت بذلك الأمنَ من الفزع الأكبر .

قال : وبلغنى أنك لا تطعم اللحم .

قال : أردت بذلك ما هو خير منه فى الجنة !

قال : وبلغنى أنك لا تؤدى إلى أهلك حقهم .

قال : أردت بذلك نساءً هن خيراً منهن .

فقال رسول الله ﷺ : يا عبدالله بن عمرو ، إن لك فى رسول الله أسوة حسنة ، فرسول الله يصوم ويفطر ، ويأكل اللحم ، ويؤدى إلى أهله حقوقهم .

يا عبدالله بن عمرو ، إن لله عليك حقا ، وإن لبدنك عليك حقا ، وإن لأهلك عليك حقا .

فقال : يا رسول الله ، ما تأمرنى أن أصوم : خمسة أيام وأفطر يوما ؟ قال : لا .

قال : فأصوم أربعة وأفطر يوما ؟ قال : لا .

قال : فأصوم ثلاثة وأفطر يوما ؟ قال : لا

قال : فيومين وأفطر يوما ؟ قال : لا .

قال : فيوما ؟

قال : ذلك صيام أخى داود .

يا عبدالله بن عمرو ، كيف لك إذا بقيت فى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم ومواثيقهم هكذا ؟ وخالف بين أصابعه .

قال : فما تأمرنى يا رسول الله ؟

قال : تأخذ ما تعرف ، وتدع ما تنكر ، وتعمل بخاصة نفسك ، وتدع الناس وعوام أمرهم .

قال : ثم أخذ بيده ، وجعل يمشى به حتى وضع يده فى يد أبيه وقال له : أطع أباك .

فلما كان يوم صِفّين ، قال له أبوه عمرو بن العاص ، يا عبدالله ، اخرج فقاتل ، فقال : يا أبتاه ، أتأمرنى أن أخرج ، فأقاتل وقد سمعت من رسول الله ﷺ ما سمعت ، وعهد إلىَّ ما عهد ؟

قال : أنشدك الله ، ألم يكن آخر ما قال لك : أن أخذ بيدك فوضعها فى يدى وقال : أطِعْ أباك ؟

قال : اللهم بلى !

قال : فإنى أعزم عليك فلتخرج فتقاتل ، قال : فخرج فقاتل متقلدًا بسيفين .

الفصل الرابع

فى تَكَلُّفِ الرجل ما ليس من طبعه

الطَّبعُ أمْـلَك :[١]

□ **قالوا** : ليس الفقه بالتَّفَقُّه ، ولا الفصاحةُ بالتفصُّح ؛ لأنه لا يزيدُ متزيِّدٌ فى كلامه إلا لنقصٍ يجده فى نفسه .

ومما اتفقت عليه العرب والعجم قولهم : الطبعُ أمْلَك أيهما أغلبُ على الرجل ؛ الأدب أو الطبيعة[٢] ؟

□ **وقالوا** : إن ملكا من ملوك فارس كان له وزير حازم مجرب فكان يصدُر عن رأيه[٣] ، ويتعرف اليُمنَ فى مشورته ، ثم إنه هلك ذلك الملك ، وقام بعده ولده له معجَبٌ بنفسه مستبدٌّ برأيه ، فلم يُنْزِلْ ذلك الوزيرَ منزلته ، ولا اهتبلَ رأيه[٤] ومشورته !

فقيل له : إن أباك كان لا يقطع أمرًا دونه .

---

(١) **أى هو** الذى يسيطر فى النهاية مهما تكلف الإنسان ما ليس له بطبع .

(٢) **وبعبارة أخرى** . الطبع أو التطبع الذى ينشأ عن التربية وغيرها ؟

(٣) **يستشيره** ويأخذ برأيه .

(٤) **اهتبل رأيه** : اغتنم .

فقال : كان يَغْلَطُ فيه وسأمتحنه بنفسى !!

فأرسل إليه **فقال** :

أيهما أغلب على الرجل ؛ الأدب ، أو الطبيعة ؟

فقال له الوزير : الطبيعة أغلب ؛ لأنها أصل ، والأدب فرع . وكل فرع يرجع إلى أصله .

فدعا الملك بسفرته ؛ فلما وضعت ؛ أقبلت سنانير[١] بأيديها الشمع فوقفت حـول السفرة ، **فقال للوزير** :

اعتبر خطأكَ وضعفَ مذهبك ، متى كان أبو هذه السنانير شماعا ؟[٢] فسكت عنه الوزير **وقال** : أمهلنى فى الجواب إلى الليلة المقبلة .

فقال : ذلك لك .

فخرج الوزير فدعا بغلام له **فقال** :

التمس لى فأرًا واربطه فى خيطٍ وجِئْني به . فأتاه به الغلام ، فعقده فى سبنية[٣] وطرحه فى كمه ، ثم راح من الغد إلى الملك ، فلما حضرت سفرته أقبلت السنانير بالشمع حتى حفت بها[٤] ؛ فحل الوزير الفأر من سَبَنِيَّتِهِ ، ثم ألقاه إليها ، فاستبقت السنانير إليه ، ورمت الشمع حتى كاد البيت يضطرم عليهم نارًا .

---

(١) **جمع سِنَّور** : القط .

(٢) **أى يحمل** الشموع كما تحمل ، وليس ذلك من طبعها الذى ورثته عن آبائها والوضع هنا لا يؤيد الوزير فيما ذهب إليه فقد غلب الأدب على الطبيعة ، فها نحن نراها تحمل الشموع وليس ذلك من طبيعتها .

(٣) **نوع من الثياب الحريرية** .

(٤) أحاطت بالمائدة .

فقال الوزير :

كيف رأيت غلبة الطبيعة على الأدب ، ورجوع الفرع إلى أصله ؟

قال : صدقت . ورجع إلى ما كان أبوه عليه معه ! فإنما مدار كلِّ شيء على طبعه ، والتكلُّف مذموم من كل وجه .

قال الله تعالى لنبيه : ﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾ (٨٦ – ص)

من تطبع بغير طباعة :

وقالوا :

- من تطبع بغير طبعه نزعته العادة حتى ترده إلى طبعه . كما أن الماء إذا أسخنته ثم تركته ساعة عاد إلى طبعه من البرودة .
- والشجرة المُرَّةُ لو طليتها بالعسل لا تُثْمر إلا مُرًّا .

* * *

الوعــود الكاذبــة !!

- **قال النبى ﷺ : « الكذب مُجانب الإيمان »**
- **وقالت الحكماء:** ليس للكذاب مروءة .
- **وقالوا :** من عرف بالكذب لم يَجُز صدقه .
- **وقال النبى ﷺ : « لايجوز الكذب فى جد ولا هزل »**
- **وقال : لا يكون المؤمن كذابا .**
- **وقال عبدالله بن عمر :** خُلْفُ الوعد ثلث النفاق .
- **وقال حبيب الطائى فى عياش :**

يا أكثر وعدًا حشوه خُلْفٌ ... وأكثر الناس وعدًا حشوه كذب

- **ومن قولنا فى هذا المعنى :**

صحيفة أُفْنِيَتْ ليت بها وعسى ... عنوانها راحة الراجى إذا يئسا
وعدٌ له هاجس فى القلب قد برمت ... أحشاء صدرى به من طول ماانجسا
مواعدٌ غرنى منها وميض سنا ... حتى مددت إليها الكف مقتبسا
فصادمت حجرًا لو كنت تضربه ... من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كأنما صيغ من بخل ومن كذب ... فكان ذاك له روحًا وذا نَفَسا

* * *

الفصل الخامس

مداراة أهل الشر

أقوال فى هذا المجال :

- **قال النبى عليه الصلاة والسلام :**

« شرّ الناس من اتقاه الناس لشره »

- **وقال عليه الصلاة والسلام :**

« إذا لقيت اللئيم فخالفه ، وإذا لقيت الكريم فخالطه »

- **وقال أبوالدّرداء :**

« إنا لنكشر فى وجوه أقوامٍ وإن قلوبنا لتلْعَنُهم »

- **وسئل شبيب بن شيبة** عن خالد بن صفوان **فقال** : ليس له صديق فى السر ، ولا عدو فى العلانية .

- **وقال الأحنف :**

رُبَّ رجلٍ لا تغيب فوائدُه وإن غاب .

وآخرَ لا يسلم منه جليسه وإن احترس !!

كيف نعاملهم ؟

• وقال كثير بن هراسة :

إن من الناس ناسا ينقصونك إذا زدتهم !

وتهون عندهم إذا خاصصتهم !

ليس لرضاهم موضع تعرفه ، ولا لسخطهم موضع تحذره !!

فإذا عرفت أولئك بأعيانهم فابذل لهم موضع المودة . واحرمهم موضع الخاصة ، يَكُنْ ما بذلت لهم من المودة حائلا دون شرهم ، وما حرمتهم من الخاصة قاطعا لحرمتهم .

لون آخر من الأصدقاء :

• وقال العتبى :

لى صديق يرى حقوق عليه ... نافلاتٍ وحقَّه الدهرَ فرضًا
لو قطعت البلاد طولا إليه ... ثم من بعد طولها سرت عرضا
لرأى ما فعلت غير كثير ... واشتهى أن يزيد فى الأرض أرضا

وكيف العلاج لمثل هؤلاء وأولئك ؟

• وفى هذه الطبقة من الناس يقول دِعبل الخزاعى :

اسقهم السُّمَّ إن ظفرتَ بهم وامزج لهم من لسانك العسلا

• وكتب سهل بن هارون إلى موسى بن عمران فى أبى الهذيل العلاف :

إن الضمير إذا سألتك حاجةً لأبى الهذيل خلافُ ما أُبدى
فألِن له كنفًا ليحسن ظنه فى غير منفعة ولا رِفْدِ
حتى إذا طالت شقاوة جَدِّه وعناؤه فاجْبَهْه بالرَّدِّ

• وقال صالح بن عبدالقُدّوس :

تجنب صديقَ السوء واصرم حبالَه
وإن لم تجد عنه محيصا فدارهِ
ومن يطلب المعروف من غير أهله
يجده وراء البحر أو فى قراره
ولله فى عرض السموات جنة
ولكنها محفوفة بالمكارِه

• وقال آخر :

بلاء ليس يشبهه بلاء عداوةُ غيرِ ذى حسب ودين
يبيحك منه عرضا لم يصنه ليرتع منك فى عِرض مصون

الفصل السادس

الغِيبَـــــة

الغيبـة والبهتـان :

• **قال النبى ﷺ : « إذا قلت فى الرجل ما فيه فقد اغتبته »**
« وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهتّه » .

لا أُحِـلُّ ما حرم الله :

• **ومر محمد بن سيرين بقوم فقام إليه رجل منهم فقال :**
أبا بكر ، إنا قد نلنا منك فحلِّلْنا !!
فقال : إنى لا أُحِلُّ ما حَرَّم الله عليك .
فأما ماكان إلىَّ فهو لك .

مُضْغَة لفظَها الكرام !

• **اغتـاب** رجلٌ رجلًا عند قتيبة بن مسلم ، **فقال له قتيبة :**
أَمْسِك عليك أيُّها الرجل ؛ فوالله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام .

أخبره حتى تكون نميمة :

• وكان رقبة بن مصقلة جالسا مع أصحابه ، فذكروا رجلا بشيء ، فاطلع ذلك الرجل !

فقال له بعض أصحابه :

ألا أخبره بما قلنا فيه ؛ لئلا تكون غيبة ؟!

قال : أُخبره حتى تكون نميمة !!

نفسى أعز علىَّ من ذلك :

• **محمد بن مسلم** الطائفى **قال** : جاء رجل إلى ابن سيرين **فقال له** :

بلغنى أنك نلت منى !

قال : نفسى أعزُّ علىَّ من ذلك .

أنت إذًا علىَّ أكرم من نفسى !

• **وقال رجل لبكر بن محمد بن عصمة** :

بلغنى أنك تقع فىَّ !

قال : أنت إذًا علىَّ أكرم من نفسى

اســكت :

● ووقع رجل فى طلحة والزبير عند سعد بن أبى وقاص ، **فقال له** : اسكت ؛ فإن الذى بيننا لم يبلغ ديننا .

دليـل على كثرة العيوب :

● **وعـاب** رجل رجلا عند بعض الأشراف ، **فقال له** :

قد استدللتُ على كثرة عيوبك ؛ بما تُكثر من عيوب الناس ؛ لأن طالب العيوب ، إنما يطلبها بقدر ما فيه منها ..

أما سمعت قول الشاعر :

لاتَهْتِكَنْ من مساوى الناس ماستَرُوا
فَيَهتِكَ الله ستْرًا من مساويكا
واذكر محاسنَ ما فيهم إذا ذُكِرُوا
ولا تعب أحدًا منهم بما فيكا

● **وقـال آخـر** :

لاتنـهَ عن خُلق وتأتىَ مثلَه   عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها   فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

تجنب القول فى أخيك لخلتين :

● **وقال محمد بن السماك** : تجنب القول فى أخيك لخلتين :

أما واحدةٌ : فلعلك تعيبه بشىء هو فيك .

وأما الأخرى : فإن يكن الله عافاك مما ابتلاه ، كان شكرُك الله فيه على العافية تعييرا لأخيك على البلاء !

أقــوال فى هذا المجـال :

● **وقيل** لبعض الحكماء : فلان يعيبك !! .

قال : إنما يقرض الدرهمَ الوازن .

● **وقيل لبزرجُمُهر** : هل تعلم أحدًا لا عيب فيه ؟

قال : إن الذى لا عيب فيه لا يموت !

● **وقيل** لعمرو بن عبيد : لقد وقع فيك أيوب السختيانى حتى رحمناك !

قال : إياه فارحموا .

● **وقال** ابن عباس : اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به ، ودع منه ما تحب أن يدع منك .

النبي ﷺ وابن الحضرمي :

• وقدم العلاء بن الحضرمي على النبي ﷺ فقال له :

هل تروى من الشعر شيئا ؟

قال : نعم . قال : فأنشدني . فأنشده :

تحَبَّب ذوى الأضغانِ تسْبِ نفوسَهم
تَحَبُّبك القُرْبَى فقد تُرقَع النّعل
وإن دحسوا بالكره فاعف تكرُّمًا
وإن غَيَّبوا عنك الحديث فلا تَسَلْ
فإن الذى يؤذيك منه سماعهُ
وإن الذى قالوا وراءك لم يُقَلْ

فقال النبى عليه السلام :

« إن من الشعر لحكمة »

• وقال الحسن البصرى :

لا غيبة إلا فى ثلاثة :

• فاسق مجاهر بالفسق .

• وإمام جائر .

• وصاحب بدعةٍ لم يدع بدعته .

● وكتب الكسائى إلى الرَّقاشى :

تركتَ المسجد الجامـ ـع والترك له ريبهْ
فلا نافلة تَقضى ولا تقضى لمكتوبهْ
وأخبارك تأتينا على الأعلام منصوبه
فإن زدت من الغَيْـ ـبَة زدناك من الغِيبَة

* * *

الفصل السابع

السـعاية والبغـى

• قال الله تعالى ذكره :

﴿ يأيها الناسُ إنما بغيكم على أنفسكم ﴾

[سورة يونس : ٢٣]

• وقـال عز وجـلّ :

﴿ ثم بُغِىَ عليه لَيَنْصُرَنَّه الله ﴾

[سورة الحج : ٦٠]

• وقال الشـاعر :

فلا سبقٌ إلى أحد ببغـى ⁂ فإن البغىَ مَصْرعُـه وَخِيـمُ

• وقـال العتَابـى :

بغيتَ فلم تقع إلا صريعًـا ⁂ كذاك البَغىُ يصرع كلَّ باغِ

للمأمون يوصى بعض ولده :

• وقال المأمون يوما لبعض ولده :

إياك أن .. ستماع قول السُّعاةِ ؛ فإنه ماسعى رجل برجل إلا انحط من قدره عندى ما لا يتلافاه أبدا .

توقيـع للمأمـون :

ووقَّع فى رقعة ساع :

سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين .

- **ووقَّع** فى رقعة رجل سعى إليه ببعض عُمَّاله :

قد سمعنا ما ذكره الله عز وجل فى كتابه ، فانصرف رحمك الله !

فكان إذا ذكر عنده السعاة قال :

ما ظنكم بقوم يلعنهم الله على الصدق ؟!

عبدالملك ورجل سعى إليه :

- **وسأل** رجل عبدالملك الخلوة ، **فقال لأصحابه :**

إذا شئتم فقوموا .

فلما تهيأ الرجل للكلام قال له : إياك أن تمدحنى ؛ فأنا أعلم بنفسى منك .

أو تكذبنى ؛ فإنه لا رأى للكذوب .

أو تسعى إلىَّ بأحد .

وإن شئت أقلتك .

قال : أقِلْنى !

عنــدى نصيحــة !

● **ودخل رجل على الوليد** بن عبدالملك ، وهو والى دمشق لأبيه ، **فقال للأمير** :عندىٰ نصيحة .

فقال : إن كانت لنا فاذكرها ، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها .

قال : جار لى عصى وفرَّ من بعثه .

قال : أما أنت فتُخْبِرُ أنك جار سوءٍ ؛ فإن شئت أرسلنا معك ، فإن كنت صادقا أقصيناك ، وإن كنت كاذبا عاقبناك ، وإن شئت تاركناك .

قال : تاركـنى !

من سِيَر العجــم :

● **وفى سير العجم** : أن رجلا وشى برجل إلى الاسكندر ، **فقال** : أتحب أن تقبل منه عليك ، ومنك عليه ؟

قال : لا .

قال : فكُفَّ عن الشر ، يكف عنك الشر .

نصيحــة شـاعر :

● وقال الشـاعر :

إذا الواشى بغى يوما صديقا فلا تَدَعِ الصديقَ لقول واش

قبـول النميمـة :

● **وقال ذو الرياستين :**

قبول النميمة شر من النميمة؛ لأن النميمة دلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دل على شى كمن قبله وأجازه !!

السعاة فى نظر المأمون :

● **وذكر السعاة عند المأمون فقال :**

لو لم يكن فى عيبهم إلا أنهم – أصدقَ ما يكونون – أبغضُ ما يكون إلى الله تعالى لكفاهم .

الثقـة لا يبلـغ :

● **وعاتب** مصعب بن الزبير الأحنف فى شيء ، فأنكره **فقال** : أخبرنى الثقة . **قال** : كلا ، إن الثقة لايبلغ .

وقد جعل الله السامع شريك القائل **فقال** : ﴿ **سماعون للكذب أكالون للسحت** ﴾

[سورة المائدة – الآية : ٤٢]

● **وقيل** : حسبك من شر سماعُه .

• وقال الشاعر :

لعمرُك ماسبَّ الأميرَ عدُوُّه ولكنما سبَّ الأميرَ المبلِّغ

• وقال الشاعر :

لا تقبلَنَّ نميمة بُلِّغْتَها وتَحفَّظَنَّ من الذى أنباكها
لا تَنْقُشْ برجلِ غيرك شوكةً فتقى برجلك رجلَ من قد شاكها
إن الذى أنْباك عنه نميمةً سيدِبُّ عنك بمثِلها قد حاكَها

• وقال دعبل :

وقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يُوصَلَ الحبلُ أحوج
رأوْا عورة فاستقبلوها بألْبهم فلم ينههم حلم ، ولم يتحرجوا
وكانوا أناسا كنت آمنُ غيبَهم . فراحوا على ما لا نحبُّ فأدلجوا

* * *

الفصل الثامن

الحَسَـــدُ

• **قال عليٌ** – رضى الله عنه – لا راحة لحسود ، ولا إخاءَ لملول ، ولا محبَّ لسيِّىء الخلق .

• **وقال الحسن** : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد : نَفَسٌ دائم ، وحُزْن لازم ، وغمٌّ لا يَنْفَد !!

• **وقال النبى ﷺ : كاد الحسد يغلبُ القدر**

• **وقال معاوية :**

كل الناس أقدِرُ أُرْضيهم إلا حاسد نعمة ؛ فإنه لا يرضيه إلا زوالُها !!

• **وقال الشاعر :**

كل العداواتِ قد تُرْجَى إماتَتُها
إلا عداوة من عاداك من حَسَدِ

• **وقال عبدالله بن مسعود :**

لا تُعادوا نعمَ الله ! **قيل له** : ومن يعادى نعم الله ؟ **قال** : الذين يحسُدونَ الناس على ما آتاهم الله من فضله . يقول الله فى بعض الكتب :

« الحسود عدوٌّ نعمتى ، متسخطٌ لقضائى ، غير راضٍ بقسمتى »

● **ويقال** : الحسد أولُ ذنب عُصِىَ الله به فى السماء ، وأول ذنب عُصِىَ الله به فى الأرض :

فأما فى السماء ، فحسد إبليس لآدم !

● **وقال بعض أهل التفسير فى قوله تعالى :**

﴿ ربَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانا من الجِنِّ والإنسِ نجعَلْهُمَا تحتَ أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴾[1] .

إنه أراد بالذى من الجن : إبليس ، والذين من الإنس قابيل ؛ وذلك أن إبليس أول من سنَّ الكفر ، وقابيل أول من سن القتل ؛ وإنما كان أصل ذلك كله الحسد .

● **ولأبى العتاهيــة :**

ياربِّ إن الناسَ لا يُنصفوننى
وكيفَ ولو أنصفتُهم ظلمونى ؟
وإن كان لى شىءٌ تصدَّوْا لأخذِه
وإن جئتُ أبغى سَيْبَهم منعونى[2]
وإن نالهم بذلى فلا شكْر عندهم
وإن أنا لم أبذُل لهم شتمونى

---

(١) سورة فصلت : الآية : ٢٩ .
(٢) السيب : العطاء .

وإن طرقتنى نِعمةٌ فرحوا بها
وإن صحبتنى نعْمة حسدونى
سأمنع قلبى أن يَحِنَّ إليهم
وأحجبُ عنهم ناظرى وجفونى !

أيســوؤك ما يسر الناس ؟!

قيس بن زهير وغطفان :

● **أبوعبيدة** مَعْمر بن المثنى قال : مر قيس بن زهير ببلاد **غطفان** فرأى ثروة وعددا ، فكره ذلك ، **فقيل له** : أيسوؤك ما يسر الناس ؟ **قال** :

إنك لا تدرى أن مع النعمة والثروة التحاسد والتخاذل ، وأن مع القلة التحاشد والتناصر !!

● **قاله** : وكان يقال : ما أثرى قوم قط إلا تحاسدوا وتجادلوا .

● **وقال بعض الحكماء :**

ألزم الناس كآبة أربعة :

رجل حديد ، ورجل حسود ، وخليط الأدباء وهو غير أديب ، وحكيم مُحَقَّرٌ لدى الأقوام .

.. إلا عداوة من عاداك من حسد !!

● **عليّ بن بشر المروزيّ قال :**

كتب إليّ ابن المبارك هذه الأبيات :

كلُّ العداوةِ قد تُرْجَى إماتَتُها
إلا عداوةَ من عاداك من حَسدِ
فإنّ فى القلبِ منها عقدةً عُقِدَت
وليْسَ يفتحها راقٍ إلى الأبَدِ
إلاّ الإلٓه فإن يَرْحَمْ تُحَلَّ به
وإن أباهُ فلا تَرجوه من أَحدِ

● **سئل بعض الحكماء** : أى أعدائك لاتحب أن يعود لك صديقاً ؟

قال : الحاسد الذى لا يردُّه إلى مودَّتى إلا زوالُ نعمتى !

حيـــاة الحســـود

● **وقال سليمان التيمى :**

الحسد يضعف اليقين ، ويُسْهر العين ، ويُكْثِر الهم !!

حارثة بن قُدامة السعدى

● **الأحنف بن قيس** ، صلى على حارثة بن قدامة السعدى **فقال** : رحمك الله ، كنت لا تحسد غنيا ، ولا تحقر فقيرا .

● **وكان يقال** :

لا يوجَدُ الحرُّ حريصا ، ولا الكريم حسودًا .

أجهد البلاء !!

● **وقال بعض الحكماء** :

أجهد البلاء أن تظهر الخَلَّةُ ، وتطولَ المدة ، وتعجز الحيلة ثم لا تعَدَم صديقا مولّياً ، وابن عم شامتا ، وجارًا حاسدًا ، ووليّا قد تحول عدوًّا ، وزوجة مختلعة ، وجارية مستبيعة ، وعبدًا يحقرك ، وولدًا ينتهرك ، فانظر أين موضع جهدك فى الهرب ؟!!

● **لرجل من قريش** :

حسدوا النعمة لما ظهرت
فرموها بأباطيل الكلم
وإذا ما الله أسدى نعمةً
لم يَضِرْها قول أعداء النعم

أفيقوا أيها الشامتون

● **وكانت عائشة** – رضى الله عنها – تتمثل بهذين البيتين :

إذا ما الدهرُ جرَّ على أُناسٍ
حوادثَــه أنــاخ بآخرينــا
فقل للشامتين بنا أفيقـوا
سيلقـى الشامتـون كما لقينـا

إيـاك والحسـدَ !!

● **ولبعضهم** :

إياك والحسدَ الذى هو آفةٌ
فَتَوَقَّه ، وتوَقَّ غِرَّةَ من حسد
إن الحسودَ إذا أراك مودَّة
بالقول فهو لك العدوُّ المجتهد

إبليس ونـوح

● **الليث بن سعد قال** : بلغنى أن إبليس لقى نوحا ﷺ ، **فقال له إبليس** : اتق الحسدَ والشُّح ، فإنى حسدت آدم فخرجت من الجنة ، وشَحَّ آدم على شجرة واحدة مُنِعَ منها حتى خرج من الجنة .

أصـول الشرّ وفروعـه

● **وقال الحسن** : أصول الشر وفروعه ستة :

فالأصول الثلاثة :

الحسد ، والحرص ، وحُبُّ الدُّنيـــا !!

والفروع كذلك :

حب الرياسة ، وحُبُّ الثناء ، وحُب الفخر !!!

والله ما أرى هـذا بُمسلْم !!

● **وقـال الحسـن :**

يحسد أحدهم أخاه ، حتى يقع فى سريرته ، وما يعرف علانيَتَه ، ويلومه على ما لا يعلمه منه .

ويتعَلَّم منه فى الصداقة ما يُعَيِّره به إذا كانت العداوة ؛ والله ما أرى هذا بِمُسْلِم !!

كلمتـــان ..

● **ابن أبى الدنيا قال :**

بلغنى عن عمر بن ذرّ أنه قال :

اللهم من أرادنا بشر فاكفناه بأى حُكْميْك شئت : إما بتوبة وإما براحة .

كلام يُحْسَد عليه صاحبه !!

• **قال ابن عباس :**

ما حسدت أحدًا ، ما حسدتُ على هاتين الكلمتين !!

لا تَحْقِرَنَّ كلمة الحق ..

• **وقال ابن عباس :**

لا تَحقِرَّن كلمة الحق أن تسمعها من الفاجر ، فإنما مثله كما قال الأوَل : رُبَّ رميةٍ من غير رامٍ .

الجسد .. والحاسد

• **وقال بعض الحكماء :**

ما أمحَق للإيمان ، ولا أهتك للستر من الحسد ، وذلك أن الحاسدَ معاند لحكم الله ، باغٍ على عباده ، عاتٍ على ربه يعتَدُّ نَعَم الله نِقَمًا ، ومزيده غِيَرا ، وعَدْلَ قضائه حَيفا .

للناس حال ، وله حال ، ليس يهدأ ليله ، ولا ينام جشعه ، ولا ينفعه

عَيْشُه ، محتَقِر لنعم الله عليه ، متسخط ما جرت به أقداره ، لا يبرد غليله ، ولا تؤمَن غوائله ، إن سالمته وَتَرك ، وإن واصلته قطعك وإن صرمته سبقك .

صار لنعم الله بالمرصاد

● **وذكر حاسد** عند بعض الحكماء **فقال** :

يا عجبا لرجل أسلكه الشيطان مهاوى الضلالة وأوردَه قُحَمَ الهلَكه ، فصار لنعم الله تعالى بالمرصاد إن أنالها من أحبَّ من عباده ، أشعر قلبه الأسف على ما لم يُقْدَرْ له ، وأغاره الكلف بما لم يكن لينالة !

أنشدنى فتى بالرملة :

اصبر على حسد الحسود فإن صبرَك قاتِلُه
كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

صِفْ لى عيوبك

● وقال عبدالملك بن مروان للحجاج :

إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه ، فصف لى عيوبك .

قال : أعفنى يا أمير المؤمنين .

قال : لست أفعل .

قال : أنا لجوح ، لدود ، حقود ، حسود .

قال : ما فى إبليس شرٌّ من هذا !!

ما أسـرعَ حسدَ الناس إلى قومك !

● **وقال المنصور** لسليمان بن معاوية المهلَّبى :

ما أسرعَ حسدَ الناس إلى قومك !

فقال ، يا أمير المؤمنين :

إن العرانين تلقاها مُحَسَّدَةً
ولا ترى لِلِئامِ الناسِ حُسَّادَا

يا ذا المعارج لا تُنْقصْ لهم عدَدَا

● وأنشد أبو موسى لنصر بن سيار :

إنى نشأت وحُسَّادى ذوو عددٍ
يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا
إن تحسدونى على حسن البلاء بهم
فمثل حسن بلائى جرَّ لى حسدا

إنى غـير لائمهـم !

● وقال آخـر :

إن يحسدونى فإنى غيُر لائمهم
قبلى من الناس أهلُ الفضلِ قد حُسِدُوا

فدام لى ولهم ما بى وما بِهِم
ومات أكثرنا غيظا بما يَجِدُ

الغـراب يحسد القطـاة

●وقـال آخـر :

إن الغراب وكان يمشى مشية
فيما مضى من سالف الأحوال
حسد القطاة[1] فرام يمشى مشيها
فأصابه ضربٌ من العُقَّال
فأضلَّ مِشْيَتَه وأخطأ مَشيَها
فلذاك كَنُّوه أبامِـرْ قال

لســان الحســود !

● وقـال آخـر :

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طُوِيت أتاح لها لسان حسود

(١) القطاة : من نوع الحمام ويقول الشاعر :
أسِرب القطا هل من يعُيرُ جناحـه
لعلى إلى من قد هويت أطيـر ؟!

لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يُعْرف طيبُ عَرْف العود

نصيحة غالية للحسود !!

● وقال محمد بن مناذر :

يأيّها العَائبِى وما بِىَ مِنْ ... عيب ، ألا ترعِوى وتزدجر ؟!
هل لك عندى وتر فتطلبه ... أم أنت مما أتيتَ مُعْتَذِرُ ؟!
إن يَكُ قَسْمُ الإله فضّلنى ... وأنت صَلْدٌ ما فيك معتصرُ
فالحمدُ والشكر والثناءُ له ... وللحسودِ الترابُ والحجرُ
فما الذى يجتنى جليسك أو ... يبدو له منك حين يختبر ؟!
اقرأ لنا سورة تذكرنا ... وإنّ خيرَ المواعظِ السُّوَر
أوْ صِفْ لنا الحُكْم فى فرائضنا ... ما تستحقُّ الأنثى أو الذَّكرُ
أو آرْوِ فقهًا تحيا القلوب به ... جاء به عن نبينا الأثَر
أو من أحاديث جاهليتنا ... فإنها حكمة ومُخْتَبَرُ
أو آرْوِ عن فارس لنا مثلا ... فإن أمثالها لنا عِبَر
فإن تكن قد جهلت ذاك وذا ... ففيك للناظرين معتبَر
فغَنِّ صوتًا تُشْجَى القلوبُ به ... وبعض ما قد أَثْبَتُّ يغتفر !!

بصرى يحسد قومه

● الأصمعى قال :

كان رجل من أهل البصرة بَذِيًّا شريرًا يؤذى جيرانه ، ويشتم أعراضهم ، فأتاه رجل فوعظه فقال له :

ما بال جيرانك يشكونك ؟

قال : إنهم يحسدوننى .

قال : على أى شىء يحسدونك ؟

قال : على الصَّلْب !

قال : وكيف ذاك ؟

قال : أقبل معى .

فأقبل معه إلى جيرانه ، فقعد متحازنا ، **فقالوا** : مالك ؟

قال : طرق الليلة كتاب معاوية أن أُصلب أنا ومالك بن المنذر ، وفلان ، وفلان ، فذكر رجالا من أشراف أهل البصرة ، فوثبوا عليه !

وقالوا : يا عدوَّ الله أنت تصلب مع هؤلاء ولا كرامة لك ؟!

فالتفت إلىّ الرجل وقال :

أما تراهم قد حسدونى على الصلب ؟!!

فكيف لو كان خيرا ؟!!

ليس بحيّ ولا ميت

● **وقيل لأبي عاصم النبيل :**

إن يحيى بن سعيد يحسدك ، وربما قَرَّضك فأنشأ يقول :

فلستَ بحيٍّ ولا ميِّتٍ إذا لم تُعَادَ ولَم تُحْسَدِ

* * *

الفصل التاسع

محاســدة الأقـارب

من عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى :

● **كتب عمر بن الخطاب** إلى أبى موسى الأشعرى :

مُرْ ذوى القرابات أن يتزاوروا ، ولا يتجاوروا .

أكثم بن صيفـى :

● **وقال أكثم بن صيفى** : تباعدوا فى الدِّيار ، تقاربوا فى المودَّة .

أمية بن أبى الأسكر وابن عم له :

● **فـرج بن سلّام قال** :

وقف أمية بن أبى الأسكر على ابن عم له فقال :

نشدْتُك بالبيت الذى طاف حوله
رجالٌ بنَوْه من لُؤىِّ بن غالب
فإنك قد جربتنى فوجدتنى
أعينك فى الجُلّى وأكفيك جانبى
وإن دبَّ من قوم إليك عداوة
عقاربُهم دبّت إليك عقاربى

قال : نعم كذلك أنت .

قال : فما بال مِثْبرك لا يزال إلى دسيسا ؟

قال : لا أعود .

قال : قد رضيت ، وعفا عنه

من أراد أن يبين عمله ، ويظهر علمه :

● **وقال** يحيى بن سعيد : من أراد أن يبين عمله ، ويظهر علمه ، فليجلس فى غير مجلس رهطه .

● **وقالوا** : الأقارب ، هم العقارب !

كيف غلب ؟

● **وقيل لعطاء بن مصعب** : كيف غلبت على البرامكة ، وكان عندهم من هو آدب منك ؟

قال : كنت بعيد الدار منهم ، غريب الاسم ، عظيم الكبر صغير الجرم ، كثير الالتواء ، فقربنى إليهم تباعدى منهم ورغَّبهم فىَّ رغبتى عنهم .

وليس للقرباء ، ظرافة الغرباء !!

وما يمنعك من ذلك ؟

● **وقال رجل لخالد بن صفوان** : إنى أُحِبُّك . قال : وما يمنعك من ذلك ولست لك بجار ، ولا أخ ، ولا ابن عم ؟

(١) مثبرك : شرك ونميمتك .

يريد أن الحسد موكَّل بالأدنى فالأدنى .

مِمَّـــن الرجـــل ؟

● **الشـــيبانى قال** : خرج أبو العباس أمير المؤمنين متنزها بالأنبار ، فأمعن فى نزهته ، وانتبذ من أصحابه ، فوافى خِباءً لأعرابى ؛ **فقال له** : ممن الرجل ؟

قال : من كنانة .

قال : من أىّ كنانة ؟

قال : من أبغض كنانة إلى كنانة .

قال : فأنت إذًا من قريش ؟

قال : نعم ،

قال : فمن أى قريش ؟

قال : من أبغض قريش إلى قريش .

قال : فأنت إذًا من ولد عبدالمطلب ؟

قال : نعم .

قال : فمن أى ولد عبدالمطلب أنت ؟

قال : من أبغض ولد عبدالمطلب إلى عبدالمطلب .

قال : فأنت إذًا أمير المؤمنين !

السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فاستحسن ما رأى منه ، وأمر له بجائزة !

مهلاً بَنِى عمنا !!

● وقال ذو الإصبع العَدْوانىّ :

لِىَ ابن عم على ما كان من خُلُق ... مُحاسِدٌ لِىَ : أَقْليه ، ويَقْلِينى
أَزْرَى بنا أننا شالت نعامتُنا ... فخالنى دونه ، أو خلتُه دونى
يا عمرو إلاَّ تدع شتمى ومَنْقَصتى ... أضربك حتى تقول الهامة: اسقونى
ماذا علىَّ وإن كنتمُ ذوى رحمى ... ألا أحبُّكُمُ إن لم تحبونى ؟!
لا اسأل الناس عما فى ضمائرهم ... ما فى ضميرى لهم من ذاك يكفينى !!

الله يعلم أنا لا نحبكُمُ :

● وقال آخر :

مهلا بنى عمنا ، مهلا موالينا ... لا تنبُشوا بيننا ماكان مدفونا
لا تطعموا أنْ تُهينونا ونكرمكم ... وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
الله يعلم أنا لا نُحبكمُ ... ولا نلومكم إن لم تحبونا

القرابة والمودّة :

● وقال آخر :

ولقد سبرت الناسَ ثم خبرتهم ... ووصفت ماوصفوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعا ... وإذا المودة أقرب الأنساب

الفصل العاشر

المشـــاكلة والقرابـــة

ماذا قالوا فى الصاحب والقرين ؟

- **قالوا** : أقرب القرابة المشاكلة . وقالوا : الصاحب المناسب .

- **وقال حبيب** :

وقلت أخى ، قالوا أخ من قرابة؟ فقلت لهم : إن الشكُولَ أقاربُ

- **وقـال أيضـا** :

ذو الوُدّ وذو القربى بمنزلةٍ وإخوتى أُسوةٌ عندى وإخوانى
عصابةٌ جاورت آدابُهم أدبى فهم—وإن فرقوا فى الأرض—جيرانى

- **وقـال أيضـا** :

إن نفترق نسبًا يؤلِّفْ بيننا أدبٌ أقمناه مُقامَ الوالد
أو نختلف فالوصل منَّا ماؤه عذب تَحدَّر من غمام واحدِ

- **وقــال** :

إن النفوس لأجنادٌ مجندةٌ بالإذن من ربنا تجرى وتختلف
فما تعارف منها فهو مؤتلف وما تناكر منها فهو مختلف

من أقوال المصطفى ﷺ فى هذا المجال :

• وقال رسول الله ﷺ : « الأنفس أجناد مجندة ، وإنها لَتَتشامُّ فى الهوى كما تتشام الخيل ؛ فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

• وقال ﷺ : « الصاحب رقعة فى الثوب ، فلينظر الإنسان بم يرقع ثوبه » .

• وقال ﷺ : « امتحنوا الناس بإخوانهم » .

أقوال للشعراء فى هذا المجال :

• وقال الشاعر :

فاعتبروا الأرض بأشباهها   واعتبروا الصاحبَ بالصاحب

• وقال الشاعر :

والإلف ينزع نحو الآلفين كما   طيرُ السماء على أُلاَّفها تقع

• قال امرؤ القيس :

أجارتنا إنا غريبان ها هنا   وكل غريب للغريب نسيب

• وقال آخر :

إذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم

ولا تصحب الأردى فتردَى مع الردى

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى

● وقال آخر :

اصحب ذوى الفضل وأهل الدين
فالمرء منسوب إلى القرين

سليمان عليه السلام وحديث النسر والقصر :

● أيوب عن سليمان قال :

حدثنا أبَان بن عيسى عن أبيه عن ابن القاسم ، **قال** : بينما سليمان ابن داود عليهما السلام تحملهُ الريح إذ مرَّ بنسر واقع على قصر .

فقال له : كم لك مذ وقعت هاهنا ؟

قال : سبعمائة سنة !

قال : فمن بنى هذا القصر ؟

قال : لا أدرى ، هكذا وجدته !

ثم نظر فإذا فيه كتاب منقور بأبيات من شعر **وهى** :

خرجنا من قرى اصْطَخْر إلى القصر فقِلْناهُ
فلا تصحب أخا السوء وإيَّاك وإيّاه
يقاس المرء بالمرء إذا ماالمرء ماشاه

وفى الناس من النـاس مقايـــيس وأشبـــاه
وفى العين غِنًى للعـــين أن تنطــق أفــواه

* * *

الهروب من جار السوء

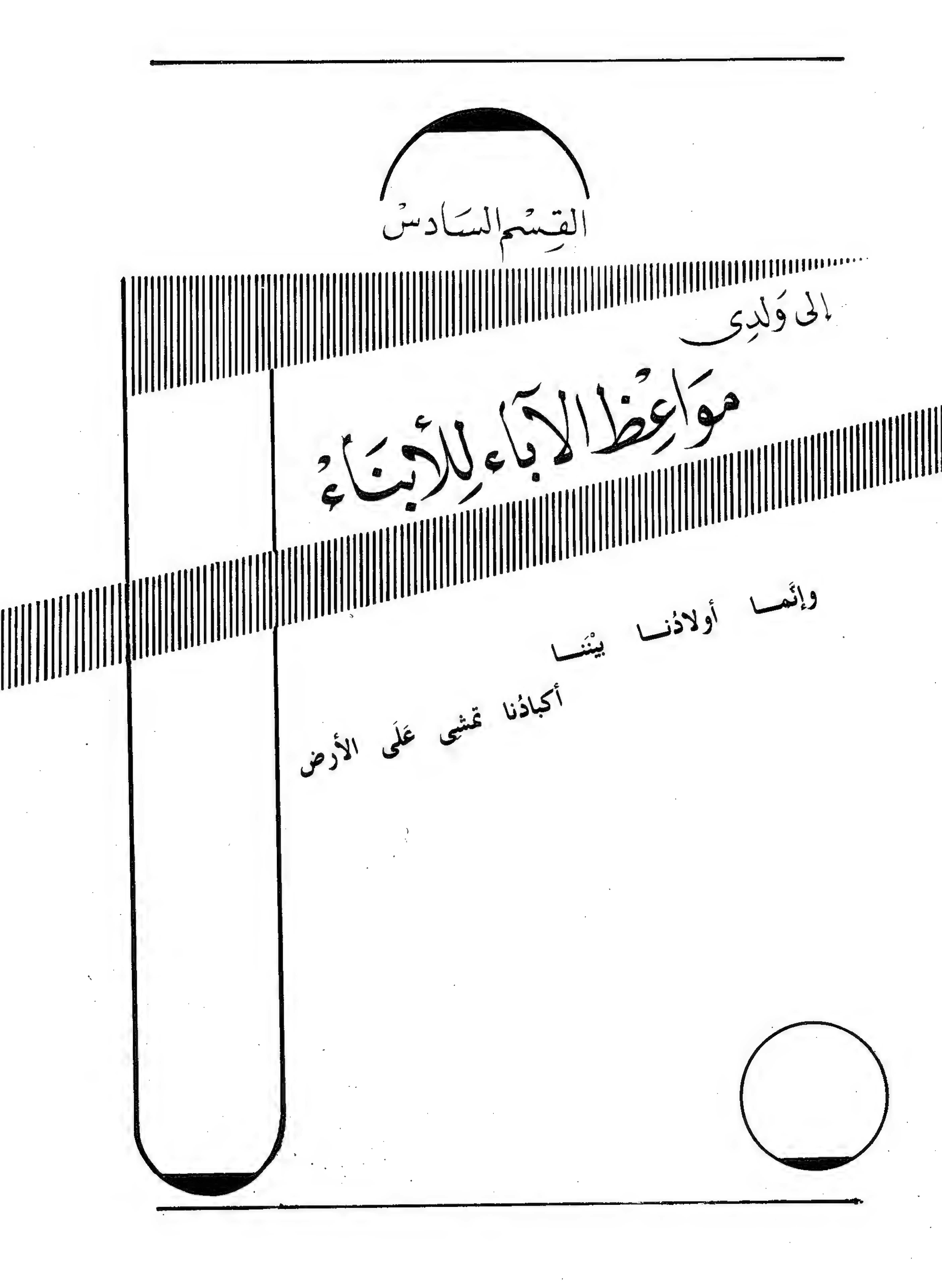
● **عرض على أبى مسلم فرس جواد ، فقال لقواده :**

لماذا يصلح هذا الفرس ؟

قالوا : إنا نغزو عليه العدو .

قال : لا ، ولكن يركبه الرجل فيهرب عليه من جار السوء !!

* * *


القسم السادس
الى ولدي
مواعظ الآباء للأبناء
وإنمــا أولادُنــا بيننــا
أكبادُنا تمشي علَى الأرض

لقمــان يوصى ابنــه :

• **قال لقمان لابنه :**

إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم السلام ، ثم اجلس ، فإن أفاضوا فى ذكر الله ، فأجِلْ سهمَك مع سهامهم ، وإن أفاضوا فى غير ذلك ، فتخلَّ عنهم وانهض .

• **وقال :**

يا بنى ، استَعِذْ بالله من شِرار الناس ، وكن من خيارهم على حذر .

• لأكــثم :

ومثل هذا ، قول حكيم بن أكثم بن صيفى : احذر الأمين ، ولا تأتمن الخائِن ، فإن القلوب بيد غيرِك .

لقمان يعظ ابنــه :

• **وقال لقمان لابنه :**

لا تركن إلى الدنيا ، ولا تَشْغَل قلبك بها ؛ فإنك لم تُخْلَق لها ، وما خلق الله خلقًا أهونَ عليه منها ؛ فإنه لم يجعل نعيمها ثوابًا للمطيعين ، ولا بلاءها عقوبةً للعاصين .

يا بنى ، لا تضحك من غير عجب ، ولا تحسن فى غير أرب ، ولا تسأل عما لا يعنيك .

يا بُنَىّ ، لا تُضَيِّع مالك ، وتُصلْح مال غيرك ، فإن لك ما قدمت ، ولغيرك ما تركت .

يا بنى ، إنه من يَرحَم يُرْحَمْ ، ومن يصمت يَسْلَم ، ومن يقل الخيرَ يغنم ، ومن يقل الباطلَ يأثم ، ومن لا يملك لسانَه يندم .

يا بنى ، زاحم العلماء بركبتيك ، وأنْصِتْ إليهم بأذنيك ، فإن القلب يحيا بنور العلماء ، كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء !

ابن صفوان ينصح ابنه :

● **وقال** خالد بن صفوانَ **لابنه** :

كن أحسنَ ما تكون فى الظاهر حالاً ، أقلّ ما تكون فى الباطن مآلا .

ودَعْ من أعمال السِّرِّ ما لا تصلُح لك فى العلانية .

لأعرابى يُوصى ابنه :

● **وقال أعرابىّ لابنه** :

يا بنى ، إنه قد أسمعك الداعى ، وأعذَرَ إليك الطالب ، وانتهى الأمرُ فيك إلى حدِّه ، ولا أعرف أعظمَ رزية ممن ضَيَّعَ اليقين ، وأخطأه الأمل .

لعلى بن الحُسَين يوصِى ابنه :

● **وقال على بن الحسين** لابنه وكان من أفضل بنى هاشم :

يابُنَىّ اصــبر على النوائب .

ولا تعرَّض للحتوف .

ولا تُجِبْ أخاك من الأمر إلا مامضرته عليك أكثر من منفعته لك .

لحكيم فى مثله :

● **وقال حكيم لبنيه** :

يا بنىَّ ، **إياكم** والجزع عند المصائب ، فإنه مجلبةٌ للهم ، وسوء ظن بالرب ، وشماتةٌ للعدو .

وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها آمنين؛ فإنى والله ما سخِرتُ من شيء إلا نزلَ بى مثله ؛ فاحذورها وتوقعوها : فإنما الإنسان فى الدنيا غرض تتعاوره السهام : فمجاوزٌ ومقصر عنه ، وواقع عن يمينه وشماله ، حتى يصيبه بعضها ، **واعلموا** أن لكل شيء جزاءً ، ولكل عمل ثوابا ، وقد قالوا : كما تدين تُدان ، ومن برّ يوما بُرّ به .

لبعض الشعراء :

● وقال الشاعر :

إذا ما الدهر جرَّ على أُناس حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا : أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

لحكيم يعظ ابنه :

● وقال حكيم لابنه :

يا بُنَىّ ، إنى مُوصيك بوصية ، فإن لم تحفظ وصيتى عنى لم تحفظها عن غيرى .

اتق الله ما استطعت . وإن قدرت أن تكون اليوم خيرا منك أمس ، وغدا خيرا منك اليوم فافعل .

وإياك والطمعَ ، فإنه فقر حاضر ،

وعليك باليأس ؛ فإنك لن تيأس من شيء قطُّ إلا أغناك الله عنه .

وإياك وما يُعْتَذَر منه ؛ فإنك لن تعتذر من خير أبدًا . وإذا عثر عاثر فاحمد الله ألا تكون هو .

يا بنى ، خذ الخير من أهله ، ودع الشر لأهله .

وإذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مُوَدِّعٍ ، وأنت ترى ألا تُصلى بعدها .

لعلىّ بن الحسين فى مثله :

● **وقال** على بن الحسين – عليهما السلام – لابنه :

يابُنَىّ ، إن الله لم يرضَك لى ، **فأوصاك** بى .

ورضينى لك فحذرنى منك !

وإن خير الآباء للأبناء من لم تَدْعُه المودَّة إلى التفريط فيه .

وخير الأبناء للآباء من لم يدعُه التقصير إلى العقوق له .

لحكيم فى مثله :

● **وقال حكيم لابنه :**

يا بُنىّ ، إن أشدَّ الناس حسرةً يوم القيامة رجل كسبَ مالاً من غير حِلّه فأدخله النار ، وأورثه من عمل فيه بطاعة الله فأدخله الجنة !

ابن عُتبة وأبوه :

● **عمرو بن عتبة قال :**

لما بلغت خمس عشرة سنة قال لى أبى :

يا بُنَىّ ، قد تقطعت عنك شرائع الصِّبا ، **فالزم الحياء** تكن من أهله ، ولا تزايله ؛ فتَبين منه .

ولا **يغرَّنك** من اغترَّ بالله فيك ، فمدحك بما تعلم خلافه من نفسك ؛ فإنه من قال فيك من الخير ما لم يعلم إذا رضى ، قال فيك من الشر مثله إذ سخط .

فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء تسلم من غيب عواقبهم .

لعبدالملك يوصى بنيه :

● **وقال عبدالملك بن مروان لبنيه :**

كفوا الأذى وابذلوا المعروف ، **واعفوا** إذا قدرتم ، **ولا تبخلوا** إذا سئلتم ، **ولا تُلْحِفُوا** إذا سألتم ؛ فإنه من ضَيَّق ضُيِّق عليه ، **ومن أعطى** أخلف الله عليه .

للأشعث فى مثله :

● **وقال الأشعث بن قيس لبنيه :**

يا بَنِىَّ **لا تذلوا** فى أعراضكم ، **وانخدعوا** فى أموالكم ، **ولتخف** بطونكم من أموال الناس ، وظهوركم من دمائهم ؛ فإنما لكل امرىء تبعة ، **وإياكم** وما يعتذر منه أو يستحى ؛ فإنما يُعتَذَر من ذنب ويُستَحى من عيب .

وأصلحوا المال لجفوة السلطان وتغير الزمان ، **وكُفُّوا** عند الحاجة عن المسألة ؛ فإنه كفى الرد مَنْعا . **وأجملوا** فى الطلب ، حتى يوافق الرزق قدَرًا .

وامنعوا النساء من غير الأكفاء ؛ فإنكم أهل بيت **يتأسى بكم** الكريم ، ويتشرف بكم اللئيم .

وكونوا فى عوامّ الناس ما لم يضطرب الحبل ؛ فإذا اضطرب الحبل فالحقوا بعشائركم .

من عمر بن الخطاب إلى ابنه عبدالله :

● **وكتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبدالله فى غيبة غابها :**

أما بعد : فإن من اتقى الله وقاه ، ومن اتكل عليه كفاه ، ومن شكر له زاده ، ومن أقرضه جزاه ، فاجعل التقوى عمارة قلبك ، وجلاء بصرك ؛ فإنه لا عمل لمن لا نية له ، ولا خيرَ لمن لا خشية له ، ولا جديد لمن لا خَلَق له .

من على إلى ابنه حسن :

● **وكتب على إلى ولده الحسن – عليهما السلام – :**

من على – أمير المؤمنين – الوالد الفان ، المقر للزمان ، المستسلم للحدثان ، المدبر العمر ، المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك ، غرض الأسقام ، ورهينة الأيام ، وعبد الدنيا ، وتاجر الغرور ، وأسير المنايا ، وقرين الرزايا ، وصريع الشهوات ، ونصب الآفات ، وخليفة الأموات .

أما بعد ؛ يا بنى ، فإن فيما تفكرت فيه من إدبار الدنيا عنى ، وإقبال

الاخرة عليَّ ، وجموح الدهر على ما يرغبني عن ذكر سوائى ، والاهتمام بما ورائى .

غير أنه حيث تفرد بى هم نفسى دون هم الناس فصدقنى رأيى ، وصرفنى عن هواى ، وصرح بى محْض أمرى ؛ فأفضى بى إلى جد لا يُزرى به لعب ، وصدق لا يشوبه كذب ، ووجدتك يا بنى بعضى ، بل وجدتك كلى ، حتى كأن شيئًا لو أصابك لأصابنى ، وحتى كأن الموت لو أتاك أتانى ، فعند ذلك عنانى من أمرك ما عنانى من أمر نفسى .

كتبت إليك كتابى هذا يا بنى مستظهرا به إن أنا بقيت لك أو فنيت ، فإنى موصيك بتقوى الله ، وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله ؛ فإن الله تعالى يقول :

﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾

[آل عمران : ١٠٣]

أوثق رباط :

وأى سبب يا بنى أوثق من سبب بينك وبين الله تعالى إن أنت أخذت به ؟!

أنت وقلبك :

أَحْيِ قلبك بالموعظة ، ونوِّره بالحكمة ، وأَمِتْه بالزُّهد ، وذلِّلْه بالموت ، وقوِّه بالغنى عن الناس ، وحَذِّره صولة الدهر ، وتقلُّبَ الأيام والليالى .

أخبار الماضين وعبرة التاريخ :

واعرض عليه أخبار الماضين ، وسر فى ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوا ، وأين حَلُّوا ؛ فإنك تجدهم قد انتقلوا من دار الغرور ونزلوا دار الغربة ؛ وكأنك عن قليل يا بنى قد صرت أحدهم ؛ فبع دنياك بآخرتك ، ولا تبع آخرتك بدنياك .

كيف يكون تصرفك وسلوكك ؟

ودعِ القولَ فيما لا تعرف ، والأمرَ فيما لا تُكَلَّف .

وأْمُر بالمعروف بيدك ولسانك ، وانه عن المنكر بيدك ولسانك ، وبايِن[١] من فعله ، وخض الغمرات إلى الحق[٢] ، ولا يأخذك فى الله لومةُ لائم ، واحفظ وصيتى ، ولا تذهب عنك صفحا ؛ فلا خيرَ فى علم لا ينفع .

واعلم أنه لا غنى لك عن حسن الارتياد مع بلاغك من الزاد ، فإن أصبت من أهل الفاقة من يحمل عنك زادك فيوافيك به فى معادك فاغتنمه ، فإن أمامك عقبة كئودا ، لا يجاوزها إلا أخف الناس حملا فأجمل فى الطلب ، وأحسن المُكتسب . فرُبَّ طلب قد جر إلى حرب[٣] .

وإن المحروب من حُرِب دينه ، والمسلوب من سُلب يقينه . واعلم أنه لا غنى يعدلُ الجنة ، ولا فقر يعْدِلُ النار .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

* * *

---

(١) باين : فارق ، وباعد بينك وبينه .

(٢) الغمرات : الشدائد جمع غمرة .

(٣) الحَرَب : الهلاك .

منه إلى ولده محمد بن الحنفية

• **وكتب إلى محمد بن الحنفية :**

أَنْ تفقَّه فى الدين ، وعود نفسك الصبرَ على المكروه ، وكِلْ نفسك فى أمورك كلِّها إلى الله عزَّ وجل ؛ فإنك تكلها إلى كهف حريز ، ومانع عزيز .

وأَخْلِص المسألة لربك ؛ فإن بيده العطاء والحرمان ، وأكثر الاستخارة له ، واعلم أن من كان مطيته الليل والنهار فإنه يُسارُ به وإن كان لا يسير ؛ فإن الله تعالى قد أبى إلا خراب الدنيا وعمارة الآخرة ، فإن قدرت أن تزهد فيها زهدك كله فافعل ذلك ، وإن كنت غير قابل نصيحتى إياك فاعلم علما يقينا أنك لن تبلغ أملك ، ولا تعدوَ أجلك ، فإنك فى سبيل من كان قبلك ، فأكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب ؛ فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا .

إياك والطمع :

وإياك أن توجف بك مطايا الطمع ، وتقول :

متى ما أُخِّرت نزعت ؛ فإن هذا أهلك من هلك قبلك .

أمسك عليك لسانك :

وأمسك عليك لسانك ؛ فإن تلافيك ما فرط من صمتك ، أيسرُ عليك ما فات من منطقك .

الحرص وحسن التدبير :

واحفظ ما فى الوعاء بشد الوكاء ، فحسن التدبير مع الاقتصاد أبقى لك من الكثير مع الفساد ، والحُرْفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور .

حفظ الأسرار ... والتواكل :

والمرء أحفظ لِسِرِّه ، ولربما سعى فيما يضره .

وإياك والاتكال على الأمانى ؛ فإنها بضائع النَّوْكَى ، وتثبط عن الآخرة والأولى .

القرين الصالح .. وقرين السوء :

ومن خير حظ الدنيا القرين الصّالح ، فقارن أهل الخير تكن منهم ، وباين أهلَ الشر تبن عنهم .

سـوء الظـن :

ولا يَغلبنَّ عليك سوءُ الظن ؛ فإنه لن يَدعَ بينك وبين خليل صلحا .

أنت وقلبـك :

أَذْكِ قلبك بالأدب ، كما تُذْكى النارُ بالحطب .

واعـلم يا بـنى :

- واعلم أن كفر النعمة لؤم .
- وصحبة الأحمق شـؤم .
- ومن الكرم منعُ الحُرَم .
- ومن حَلُم سـاد .
- ومن تفهمَّ ازداد .
- امْحَض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة .
- لا تَصْرِم أخاك على ارتياب ، ولا تقطعه دون استعتاب ، وليس جزاء من سرَّك أن تسوءَه .
- الرزق رزقان : رزق تطلبه ، ورزق يطلبك ، فإن لم تأته أتاك .

واعلم يا بني :

- أنه مالك من دنياك إلا ما أصلحت به فى مثواك ؛ فأنفق من خيرك ، ولا تكن خازنا لغيرك .
- وإن جزعت على ما يفلت من يديك ، فاجزع على ما لم يصل إليك .
- ربما أخطأ البصيرُ قصده ، وأبصر الأعمى رشده .
- ولم يهلك امرؤ اقتصد ، ولم يفتقر من زهد .
- من ائتمن الزمان خانه ، ومن تعظم عليه أهانه .
- رأسُ الدّين اليقين ، وتمام الإخلاص اجتناب المعاصى .
- وخير المقال ما صدقه الفِعال .
- سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار .
- واحمل لصديقك عليك ، واقبل عذرَ من اعتذر إليك .
- وأخِّر الشرَّ ما استطعت ؛ فإنك إذا شئت تعجلته .
- لا يكن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته ، وعلى الإساءة أقوى منك على الإحسان .
- لا تُمَلِّكَنَّ المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها ؛ فإن المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة ؛ فإن ذلك أدوم لحالها وأرخى لبالها ، واغضض بصرها واكففها بحجابك ، وأكرم الذين بهم تصول ، فإذا تطاولت تطول .

أسـأل الله :

- أن يلهمك الشكر والرُّشد .
- ويقويك على العمل بكل خير .
- ويصرف عنك كلَّ محذور برحمته .

.. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .



القسم السابع

مسك الختام

إضافة جديدة إلى ما قدمه ابن عبد ربه

من اختيار المحقق

محمد إبراهيم سليم

كتاب الأدب

من

مختصر صحيح مسلم



(١) باب قول النبي ﷺ
« تسمّوا باسمي ، ولا تكتنوا بكنيتي »

١٣٩٦ - عن أنس - رضي الله عنه - نادى رجل رجلاً بالبقيع : يا أبا القاسم ، فالتفت إليه رسولُ الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، لم أعْنِكَ ، إنما دعوت فلانا ، فقال رسول الله ﷺ : « تَسَمَّوْا باسمي ، ولا تكتنوا بكنيتي »

[م ١٩٦/٦]

(٢) باب التســمية بمحمد ﷺ

١٣٩٧ - عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : وُلِدَ لرجل منا غلام فسماه محمدًا فقال له قومه : لا ندعك تُسَمِّي باسم رسول الله ﷺ ، فانطلق بابنه ، حامله على ظهره ، فأتى به النبي ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، وُلِدَ لي غلام فسميته محمدًا ، فقال لي قومي : لا ندعك تُسمي باسم رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « تَسَمَّوْا باسمي ، ولا تكتنوا بكنيتي ، فإنما أنا قاسم أقسم بينكم »

[م ١٦٩/٦]

(٣) باب أحب الأسماء إلى الله تعالى (عبدالله وعبدالرحمن)

١٣٩٨ – عن ابن عمرَ – رضى الله عنهما – قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ أَحَبَّ أسمائِكُم إلى الله عبدالله ، وعبدالرحمن » .

[م ١٦٩/٦]

(٤) باب تسمية المولود عبدالرحمن

١٣٩٩ – عن جابر بن عبدالله – رضى الله عنهما قال : وُلِدَ لرجلٍ مِنَّا غلام فسماه : القاسم . فقلنا : لا نكنيك أبا القاسم ، ولا نُنْعِمُكَ عينا ، فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك فقال : « اسمِ ابنك عبدالرحمن » .

[م ١٧١/٦]

(٥) باب تسمية المولود : عبدالله ومسحه والصلاة عليه

١٤٠٠ – عن عُرْوَةَ بن الزبير وفاطمة بنت المنذر بن الزبير أنهما قالا : خرجت أسماء بنت أبى بكر حين هاجرت ، وهى حُبْلى بعبد الله ابن الزُّبير ، فقدمت قُباء فَنُفِسَتْ بعبدالله بقباء ، ثم خرجت حين نفست إلى

رسول الله ﷺ فأخذه رسول الله ﷺ منها فوضعه فى حجره ، ثم قالت أسماء : ثم مسحه وصلى عليه وسماه عبدالله ، ثم جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله ﷺ ، وأمره بذلك الزبير ، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مقبلا ، ثم بايعه »

[م ٦/١٧٥]

(٦) باب فى التسمية بأسماء الأنبياء والصالحين

١٤٠٢ - عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : لما قدمت نجران سألونى فقالوا : إنكم تقرءون ﴿ يا أخت هارون ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال : « إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم »

[م ٦/١٧١]

(٧) باب تسمية المولود بإبراهيم

١٤٠٣ - عن أبى موسى - رضى الله عنه - قال : ولد لى غلام ، فأتيت به النبى ﷺ فسماه إبراهيم .

[م ٦/١٧٥]

(٨) باب تسمية المولود : المنـذر

١٤٠٤ – عن سهل بن سعد قال : أتى بالمنذر بن أسيد رضى الله عنهم إلى رسول الله ﷺ حين ولد ، فوضعه النبى ﷺ على فخذه ، وأبو أُسَيْدٍ جالس ، فلَهِى النبى ﷺ بشىءٍ بين يديه ، فأمر أبو أسيد با بنه ، فاحتمل من على فخذ رسول الله ﷺ ، فأقلبوه ، فاستفاق رسول الله ﷺ فقال : « أين الصبى » ؟(المشهور قلبوه بحذف الهمزة أى ردوه وصرفوه)

فقال أبو أسيد : أقلبناه يا رسول الله ، قال : « ما اسمه » ؟ قال : فلان يا رسول الله ، قال : « لا ، ولكن أَسْمِهِ المنذر » فسماه يومئذ المنذر .

(٩) باب تغيير الاسم إلى حسن منه

١٤٠٥ – عن ابن عمر : أن ابنةً لعمرَ – رضى الله عنهما – كانت يقال لها : عاصية ، فسماها رسول الله ﷺ : جميلة .

[م ١٧٣/٦]

(١٠) باب تسمية برَّة جويرية

١٤٠٦ – عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : كانت جويرية اسمها برَّة ، فحول الرسول اسمها جويرية ، وكان يكره أن يقال : خرج من عند برَّة .

[م ١٧٣/٦]

(١١) باب تســمية برَّة زينب

١٤٠٧ – عن محمد بن عمرو بن عطاء قال : سميت ابنتى برَّة ، فقالت لى زينب بنت أبى سلمة : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم ، وسُمِّيتُ برة فقال رسول الله ﷺ « لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم » فقالوا : بم نُسميها ؟ قال : سموها زينب .

[م ٦/١٧٣-١٧٤]

(١٢) باب فى تسمية العنب الكرم

١٤٠٨ – عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : **« لا يقولنَ أحدكم للعنب الكرْم[١] إنما الكرم الرجل المسلم »**

[م ٧/٤٦]

(١٣) باب النهى أن يسمى بأفلح ورباح ويسار ونافع

١٤١٠ – عن سمُرة بن جُنْدُب – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : **« أحب الكلام إلى الله عز وجل أربع : سُبحان الله ،**

---

(١) **سبب النهى أن العرب** : سمت العنبة كرما ؛ ذهابا إلى أن الخمر تورث شاربها كرما ! فلما حرم الخمر نهاهم عن ذلك تحقير لمخمر ، وتأكيدا لحرمتها وبين أن قلب المؤمن هو الكرم ، وهو مشتق من (الكرم) بفتح الراء ؛ لأنه معدن التقوى .

والحمدُ لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا يضرُّك بأيهن بدأت ، ولا تُسَمِّيَنَّ غلامك يسارًا ، ولا رباحًا ، ولا نجيحاً ، ولا أفلح ؛ فإنك تقول :

أَثَمَّ هو ؟ فلا يكون ، فيقول : لا

إنما هن أربع ، فلا تزيدُنَّ عليّ »[1] .

[م ١٧١/٦]

(١٤) باب الرخصة فى ذلك

١٤١٢ – عن جابر بن عبدالله – رضى الله عنهما – قال : أراد النبى أن ينهى عن أن يُسَمَّى بيَعْلى ، وببركة ، وبأفلح ، وبيسار ، وبنافع ، وبنحو ذلك ، ثم رأيته سكت بعدُ عنها ، فلم يقل شيئا ، ثم قبض رسول الله ﷺ ولم ينه عن ذلك ، ثم أراد عمر أن ينهى عن ذلك ، ثم تركه .

[م ١٧٢/٦]

(١٥) باب تسمية العبد والأمة والمولى والسيد

١٤١٣ – عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله

(١) **قلت** : ورواه أحمد (١١/٥) من طريق أخرى ، عن سمرة عن النبى ﷺ قال : « إذا حدثتكم حديثا ، فلا تزيدن عليه ، وقال : أربع من أطيب الكلام ، وهن من القرآن ، لا يضرك بأيهن بدأت . سبحان الله » وهو مخرج فى الأحاديث الصحيحة (٣٤١) فهذه الرواية تدل على أن قوله فى آخر الحديث « إنما هن أربع فلا تزيدن على » مرفوع إلى النبى ﷺ ، وليس قول الراوى كما زعم المعلق على « صحيح مسلم » .

ﷺ : « لا يقل أحدُكم : اسق ربَّك ، وأَطِعمْ ربَّك ، وضِّىْء ربَّك ، ولا يقل أحدكم : رَبِّى ، وليقُلْ : سيدى ومولاى .

ولا يقل أحدكم : عبدى ، أمتى ، وليقل : فتاىَ ، فتاتى ، غلامى »

[م ٧/٤٧]

(١٦) باب تكنية الصغير

١٤١٤ – عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا ، وكان لى أخ يقال له : أبو عُمَيْرٍ (قال : أحسبه قال :) كان فطيما ، قال : فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال :

« أبا عُميْر ، ما فعل النُّغَيْر »(١) ؟ . قال : فكان يلعب به .

[م ٦/١٧٦-١٧٧]

(١٧) باب قول الرجل للرجل : يا بنى

١٤١٥ – عن المغيرة بن شعبة – رضى الله عنه – قال : ما سأل رسول الله ﷺ أحد عن الدّجّال أكثر مما سألته عنه : فقال لى : « أى بُنَىَّ ، وما يُنْصِبُكَ منه ؟ إنه لن يَضُرَّك »

قال : قلت : إنهم يزعمون أن معه أنهار الماء ، وجبال الخبز ، قال : « هو أهون على الله من ذلك »

[م ٦/١٧٧]

(١) النُّغر : بضم النون وفتح الغين طائر صغير ، وتصغيره نُغَيْر .

(١٨) باب أخنع اسم عند الله من تسمى بملك الأملاك

١٤١٦ – عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال :

« إن أَخْنَعَ اسم عندالله رجلٌ تسمى ملك الأملاك »

(فى رواية)[١] : « **لا مالك إلا الله** » قال سفيان يعنى ابن عيينة : مثل **شاهان شاه ، وقال أحمد بن حنبل سألت أبا عمرو عن (أخنع) فقال : أوضع**

[م ١٧٤/٦]

(١٩) باب حق المسلم على المسلم خمس

١٤١٧ – وعن أبى هريرة – رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خَمْسٌ تجب لمسلم على أخيه :

١ – رَدُّ السلام .

٢ – وتشميت العاطس .

٣ – وإجابة الدعوة .

٤ – وعيادة المريض .

---

(١) **ولفظ** هذه الرواية « أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه وأغيظه عليه رجل .. الخ » .

٥ – واتباع الجنائز »

[م ٧/٢]

١٤١٨ – عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال :

« **حق المسلم على المسلم ست** » . **قيل ما هُنَّ يا رسول الله ؟ قال :**

١ – إذا لقيته فسلِّم عليه .

٢ – وإذا دعاك فأجِبْه .

٣ – وإذا استنْصَحك فانصح له .

٤ – وإذا عطِس فحمد الله فشمِّته .

٥ – وإذا مرِض فعُده .

٦ – وإذا مات فاتبعه .

[م ٧/٣]

(٢٠) باب النهى عن الجلوس فى الطرقات وإعطاء الطريق حقه

١٤١٩ – عن أبى سعيد الخُدْرِىّ – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ قال : « **إياكم والجلوس فى الطُرقات** »

قالوا : يا رسول الله ، ما لنا بُدٌّ من مجالسنا ، نتحدث فيها .

قال رسول الله ﷺ :

« فإذا أبيتم إلا المجلسَ ، فأَعطُوا الطريقَ حقه »

قالوا : وما حَقُّه يا رسولَ الله ؟

قـــال :

« ١ - غضُّ البصر .

٢ - وكفُّ الأذى .

٣ - وردُّ السلام .

٤ - والأمرُ بالمعروف .

٥ - والنهيُ عن المنكر » .

[م ٧/٣]

(٢١) باب فى تسليم الراكب على الماشى والقليل على الكثير

١٤٢٠ - عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسولُ الله ﷺ : « **يُسلِّم الراكبُ على الماشى ، والماشى على القاعد ، والقليل على الكثير** » .

[م ٧/٢]

(٢٢) باب الاستئذان والسلام

١٤٢١ - عن أبى بُردة عن أبى موسى الأشعرىّ قال :

جاء أبو موسى إلى عمرَ بنِ الخطابِ فقال :

السلامُ عليكم ، هذا عبدالله بن قيس

فلم يأذن له !

فقال : السلام عليكم ، هذا أبو موسى ، السلام عليكم ، هذا الأشعرى . ثم انصرف .

فقال : رُدّوا علىّ .

فجاء ، فقال : يا أبا موسى ، ما ردك ؟ كنا فى شغلٍ !

قال : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول :

« الاستئذان ثلاث ، فإن أذن لك ، وإلا فارجع » .

قال : لتأتِيَنّى على هذا ببينة ، وإلا فعلت وفعلت[1] ، فذهب أبو موسى .

قال عمر - رضى الله عنه - إن وَجد بينة تجدوه عند المِنْبرِ عشيّة ، وإن لم يَجِدْ بينةً فلا تجدوه .

فلما جاء بالعِشىِّ وجدوه .

قال : يا أبا موسى ، ما تقول ؟ أقد وجدت ؟

قال : نعم ، أُبَىّ بن كعب .

قال : عدْلٌ .

---

(١) الأصل : (فعلت فعلت) والتصويب من « مسلم » .

قال : يا أبا الطُّفَيْل ، مايقولُ هذا ؟

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك ، يا ابن الخطاب ! فلا تكونَنَّ عذاباً على أصحابِ رسول الله ﷺ .

قال : سبحانَ الله ، إنما سمعت شيئًا ، فأحببت أن أتثبَّت » .

[م ٢١٥٦-١٨٠]

(٢٣) باب جعل الإذن رفع الحجاب

١٤٨٢ – عن ابن مسعود – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :

« إذْنُكَ علىَّ أن يُرْفَعَ الحجاب ، وأن تسمع[١] سِرَارِى[٢] حتى أنهاك » .

[م ٧/٦]

(٢٤) باب كراهة أن يقول (أنا) عند الاستئذان

١٤٢٣ – عن جابر بن عبدالله – رضى الله عنهما – قال : استأذنت على النبى ﷺ فقال : « من هذا » ؟

---

(١) كذا الأصل ، وفى « مسلم » (تستمع) .
(٢) بكسر السين وهو السر ، والمسارة .

فقلت : أنا . فقال النبى ﷺ :

« انا أنا » . (وفى رواية) : كأنه كره ذلك .

[م ١٨٠/٦]

(٢٥) باب النهى عن الاطلاع عند الاستئذان

١٤٢٤ عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنهما : أن رجلا اطلع فى جُحْرٍ فى باب رسولِ الله ﷺ ، ومع رسولِ الله ﷺ مِدْرى[1] يحك به رأسه ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « لو أعلم أنك تنظرنى[2] لطعنت به فى عينك » ، وقال رسولُ الله ﷺ : « إنما جُعِل الإذن من أجلِ البصر » .

[م ١٨١/٦]

(٢٦) من اطَّلع فى بيت قوم بغير إذْنهم ففقئوا عينــه !!

١٤٢٥ – عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « لو أن رجلا اطَّلع عليك بغير إذنٍ فحذفته بحصاةٍ ففقأت عينه ، ما كان عليك من جُناحٍ »

[م ١٨١/٦]

---

(١) حديدة يسوى بها شعر الرأس .

(٢) الأصل : (تنتظرنى) وكذا فى نسخة من « مسلم » .

(٢٧) باب فى نظر الفُجاءة ، وصرف البصر عنها

١٤٢٦ – عن جرير بن عبدالله – رضى الله عنه – قال : سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفُجاة ؟ . فأمرنى أن أصْرِف بصرى .

[م ٦/١٨٢]

(٢٨) باب من أتى مجلسا سلَّم وجلس

١٤٢٧ – عن أبى واقد الليثىّ – رضى الله عنه – أن رسولَ الله ﷺ بينما هو جالس فى المسجد ، والناس معه إذ أقبل نفرٌ ثلاثة ، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ ، وذهب واحد ، قال : فوقفا على رسول الله ﷺ ، فأما أحدُهما فرأى فُرجة فى الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهبا .

فلما فرغ رسول الله ﷺ قال :

ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟

أما أحدهم : فأوى إلى الله فآواه الله .

وأما الآخر : فاستحيى فاستحيى الله منه .

وأما الآخر : فأعرض فأعرض الله عنه !

[م ٧/٩]

(٢٩) باب النهى أن يُقَام الرجل من مجلسه ويُجَلس فيه

١٤٢٨ – عن ابن عمر – رضى الله عنهما – عن النبى ﷺ قال :

« لا يُقيمُ الرجلُ الرَّجُلَ من مقْعده ثم يجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا » . (وفى رواية) قلت : فى يوم الجمعة ؟

قال : « فى يوم الجمعة وغيرها » .

وكان ابن عمر إذا قام له رجل عن مجلسه لم يجلس فيه[1] .

[م ١٠/٧]

(٣٠) باب إذا قام من مجلس ثم رجع فهو أحق به

١٤٢٩ – عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : **« إذا قام أحدكم » (وفى حديث أبى عوانة) « من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به » .**

[م ١٠/٧]

---

(١) **قلت** : وقد جاء الحديث من رواية أبى هريرة مرفوعا بلفظ : « لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه ، ولكن افسحوا يفسح الله لكم » . وإسناده حسن كما بينه محقق مختصر فى « الأحاديث الصحيحة » رقم (٢٨٨) .

(٣١) باب النهى عن مناجاة الاثنين دون الثالث

١٤٣٠ - عن عبدِ الله بن مسعودٍ - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا كنتم ثلاثةً فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس ، من أجل أن ذلك يُحزِنه** » .

[١٣/٧٢]

(٣٢) باب السلام على الغِلْمان

١٤٣١ - عن سَيَّار قال : كنتُ أمشى مع ثابت البنَّانى ، فمر بصبيانٍ فسلم عليهم ، **فحدث ثابت**[1] **: أنه كان يمشى مع أنس فمر بصبيان فسلم عليهم ، وحدَّث أنس : أنه كان يمشى مع رسول الله ﷺ ، فمر بصبيان فسلَّم عليهم .**

[م ٦/٧]

(٣٣) باب لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام

١٤٣٢ - عن أبى هريرة - رضى الله عنه - **أن رسول الله ﷺ قال : « لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام .**

وإذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه إلى أضيقه »[2] .

[م ٥/٧]

---

(١) فى « مسلم » (وحدّث) . (٢) فى « مسلم » (فإذا) .

(٣٤) باب الرد على أهل الكتاب

١٤٣٣ – عن جابر بن عبدالله – رضى الله عنهما – قال : سلَّم ناس من يهود على رسول الله ﷺ ، فقالوا : السلام عليكم يا أبا القاسم ، فقال : « وعليكم »

فقالت عائشة : وغضبت – ألم تسمع ما قالوا ؟

قال : « بلى قد سمعت فرددت عليهم ، وإنا نُجابُ عليهم ، ولا يجابون علينا »

[م ٧/٥]

(٣٥) باب منع النساء أن يخرجن بعد نزول الحجاب

١٤٣٤ – عن عائشة – رضى الله عنها أن أزواج النبى ﷺ كنَّ يخرجن بالليل إذا تبرَّزن إلى المناصع ، وهو صعيد أفيح[1] وكان عمر ابن الخطاب – رضى الله عنه يقول لرسول الله ﷺ احْجُب نساءك ، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل .

فخرجت سودة بنت زمْعة زوج النبى ﷺ ليلة من الليالى عِشاء ،

---

(١) أى أرض متسعة .

وكانت امرأة طويلة ، فناداها عمر : ألا قد عرفناك يا سودة . حرصا على أن ينزل الحجاب .

قالت عائشة : فأنزل (الله عزَّ وجَلَّ)[1] الحجاب .

(٣٦) باب الإذن للنساء في الخروج لحاجتهن

١٤٣٥ – عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : خرجت سودةُ – رضى الله عنها – بعدما ضُرِبَ علينا الحجاب[2] لتقضى حاجتها ، وكانت امرأة جسيمة تَفْرَعُ النساءَ جميعا[3] ، لا تَخْفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب ، فقال : يا سودة ! والله ما تخفين علينا فانظرى كيف تخرجين ، قالت : فانكفأت راجعة ، ورسول الله ﷺ فى بيتى ، وإنه ليتعشى ، وفى يده عَرْق ، فدخلت ، فقال :

يا رسولَ الله ، إنى خرجت فقال لى عمر : كذا وكذا ، قالت : فأوحِيَ إليه ، ثم رُفِعَ عنه ، وإن العرْق فى يده ما وضعه ، فقال :

« إنه أُذِنَ لكن أن تخرجن لحاجتكن »

[م ٧/٦]

---

(١) زيادة من « مسلم » .

(٢) فى «مسلم» (عليها) .

(٣) أى تطولهن : فتكون أطول منهن ، والفارع المرتفع العالى .

(٣٧) باب جعل المرأة ذات المحرم من خلفه

١٤٣٦ — عن أسماء بنت أبي بكر – رضى الله عنهما – قالت : تزوجنى الزُّبيْرُ ، وماله فى الأرض من مال ، ولا مملوك ، ولا شيء غير فرسه ، قالت : فكنْتُ أعلفُ فرسه ، وأكفيه مئونته ، وأسوسه ، وأدُقّ النوى لناضحه ، وأعلفه ، وأستقى الماء ، وأخرز غربهُ[1] وأعجن .

ولم أكن أحسنُ أخبز ، فكانَ يخبزُ لى جاراتٌ لى من الأنصار ، وكُنّ نِسْوة صِدْقٍ .

قالت : وكنتُ أنقُلُ النوى من أرض الزبير التى أقطعه رسول الله ﷺ على رأسى ، وهو على ثلثى فرسخ ، قالت : فجئت يوما والنوى على رأسى ، فلقيتُ رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه ، فدعانى ، ثم قال : « إخْ إخْ » ليحملنى خلفه ، قالت : فاستحييت وعرفت غيرتك ، فقال : « والله لحملك النوىَ على رأسك أشدُّ من ركوبك معه » ، قالت : حتى أرسل إلىّ أبوبكر بعد ذلك بخادم ، فكفتنى سياسة الفرس ، فكأنما أعتقتنى .

[م ٧/١١-١٢]

(١) غرْبهُ : هو الدلو الكبير .

(٣٨) باب إذا مَرَّ برجل ، ومعه امرأة فليقل : إنها فلانة !!

١٤٣٧ - عن صفية بنت حُيَىّ - رضى الله عنها - قالت : كان النبى ﷺ معتكفا ، فأتيته أزوره ليلا ، فحدَّثته ، ثم قمت لأنقلب ، فقام معى لِيقْلِبَنى ، وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد - رضى الله عنهما - فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبى ﷺ أسرعا ، فقال النبى ﷺ : « على رِسْلِكُما إنها صفِيَّةُ بنت حُيَىّ » ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله !

قال : إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم ، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا » أو قال : « شيئا »

[م ٧/٨]

(٣٩)باب نهى الرجل عن المبيت عند امرأة غير ذات محرم

١٤٣٨ - عن جابر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا لا يبيتن رجلٌ عند امرأةٍ ثَيِّبٍ[١] إلا أن يكون ناكحا[٢] ، أو ذا محرم » .

[م ٧/٧]

---

(١) ثيب : خص الثيب بالذكر لكونها التى يُدخل عليها غالبا ، أما البكر فمصونة عادة ؛ وهى بالأولى .

(٢)) أى يكون الداخل زوجا .

١٤٣٩ - عن عقبة بن عامر - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والدخول على النساء » ، فقال رجل من الأنصار : يا رسولَ الله أفرأيتَ الحَمْوَ ؟

قال : « الحَمْوُ الموت » .

قال الليث بن سعد : الحَمْوُ : أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج : ابن العم ونحوه .

[م ٧/٧]

(٤٠) باب النهى عن الدخول على المُغِيبَات

١٤٤٠ - عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - : أن نفَرًا من بنِي هاشم دخلوا على أسماءَ بنتِ عُميْس ، فدخل أبوبكر الصدِّيق ، وهى تحته يومئذ ، فرآهم ، فكره ذلك ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ وقال : لم أَرَ إلا خيرًا .

فقال رسول الله ﷺ : « **إن الله برَّأها من ذلك** » ثم قام رسول الله ﷺ على المِنْبَر فقال :

« لا يَدْخُلن رَجُلٌ بعد يومى هذا على مُغِيبَةٍ[1] إلا ومعه رجل أو اثنان » .

[م ٧/٧]

(١) **هى التى غاب** عنها زوجها ، أى عن منزلها سواء كان فى البلد أو مسافرا .

(٤١) باب : الزجر عن دخول المخنثين على النســاء

١٤٤١ – عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : كان يدخل على أزواج النبى ﷺ مخنث[١] ، فكانوا يعدونه من غير أولى الإِرْبة[٢] ، قال : فدخل النبى ﷺ يوما وهو عند بعض نسائه ، وهو ينعت امرأةً قال :

إذا أقبلت أقبلت بأربع !

وإذا أدبرت أدبرت بثمان !

فقال النبى ﷺ : « ألا ، أرى هذا يعرف ما ههنا ، لا يدخُلَن عليكن[٣] ، قالت : فحجبوه .

[م ١١/٧]

(٤٢) باب إطفاء النار عند النوم

١٤٤٢ – عن أبى موسى – رضى الله عنه – قال : احترق بيت

(١) هو الذى يشبه النساء فى أخلاقه وكلامه وحركاته ، وتارة يكون هذا خلقه من الأصل ، وتارة يتكلف هذا أو هذا هو المراد .

(٢) أولى الإربة : من لهم فى النساء مأرب واشتهاء ، وقدرة على المعاشرة الجنسية .

(٣) قال العلماء : معناه : أربع عكن ، وثمان عكن ، يعنى أن لها أربع عكن تقبل بهن ، من كل ناحية ثنتان ، ولكل واحدة طرفان . فإذا أدبرت صارت الأطراف ثمانية .

على أهله بالمدينة من الليل ، فلما حُدِّث رسولُ الله ﷺ بشأنهم قال :

« إن هذه النار إنما هى عَدُوٌّ لكم »

« فإذا نمتم فأطفئوها عنكم »(١)

[م ١٠٧/٦]

« تم كتاب الأدب بحمد الله »

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

(١) الأصل : « عليكم » .



« فهرس تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين »

المحتوى	الصفحة

كتاب الياقوتة فى العلم والأدب

« والحمد لله أولا وأخيراً »

رقم الايداع ٢٨٥٠٥ / ٨٦